المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الدراسات الاسلامية
شعبة العقيدة

منهج وآراء أبي بكر ابن العربي في: الايمان والنبوات والامامة

في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

إعداد الطالب
محمد بن عبد الكريم الموسى



إشراف فضيلة الأستاذ
أ.د / محمد عبد المهيمن الميتي

١٤٢١ - ١٤٢٢هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

أما بعد:

فإن أحسن الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار(٤).

وبعد، فإن الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله الكريم رحمة لهذه الأمة، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وأنزل عليه الوحي، فيه الهدى والبيان، فدعا إلى التوحيد الخالص، ليكون الدين كله لله، لذلك كان علم التوحيد أشرف العلوم وأجلها قدرا، وأوجبها

(١) سورة آل عمران الآية : ١٠٢ .

(٢) سورة النساء الآية : ١ .

(٣) سورة الأحزاب الآيتان : ٧٠-٧١ .

(٤) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة، وهي مأثورة عن النبي ﷺ، وقد أفردها الشيخ ناصر الدين الألباني ــ رحمه الله ــ برسالة مستقلة.

مطلبا، لأنه العلم بالله تعالى وبأسمائه وصفاته وحقوقه على عباده، ولأنه الطريق إلى الله سبحانه وتعالى وأساس شرائعه، ولذا أجمعت الرسل على الدعوة إليه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1].

ولما كان هذا شأن التوحيد، كان واجبا على كل مسلم أن يعتني به تعلما وتعليما واعتقادا وعملا، ليبني دينه على أساس سليم وطريق قويم، يسعد بثمراته ونتائجه في الدنيا والآخرة، فالعقيدة هي قوام المجتمع المسلم الذي لا يمكن أن يكون له بناء بدونها.

سبب اختياري لهذا الموضوع الأمور التالية:

١- أنه لم يسبق أن كتب أحد عن الإمام أبي بكر ابن العربي من جهة الإيمان والنبوة والإمامة، حسب علمي.

٢- أن إبراز عقيدة هذا الإمام وخصوصا في دفاعه عند الصحابة، إذ أن له جهدا يشهد له القاصي والداني في الذب عن الصحابة.

٣- كون المصنف من أشهر علماء الأندلس، فقد ألف واشتهرت مؤلفاته ومصنفاته.

---

[1] سورة الأنبياء الآية ٢٥ .

منهجي في هذا البحث:

وأما عن منهجي في هذا البحث فيتلخص فيما يأتي:

١- **قمت بجمع** ما استطعت من مؤلفات أبي بكر ابن العربي.

٢- **حصرت مباحث العقيدة** في الإيمان والنبوة والإمامة، التي اشتملت عليها كتب ابن العربي، وذلك بعد قراءة ما تيسر لي من كتبه، ثم جمعت الأقوال التي تتعلق بكل مبحث وأرجعتها حسب موضعها في البحث.

٣- **أتناول رأي أبي بكر ابن العربي**، مع ذكر الأدلة التي اعتمد عليها إذا أوردها.

٤- **أعقب بعد ذلك على أبي بكر ابن العربي** ـ رحمه الله ـ بذكر موافقته للسلف وهو الكثير الغالب ـ ولله الحمد ـ مع ذكر أقوال السلف تأييداً لقوله وإتماماً للفائدة، أو مخالفته وهو القليل النادر، مع ذكر أقوال علماء السلف في ذلك.

٥- **التزمت عند النقل** من أي مرجع أو الاستفادة منه الإشارة إلى رقم الجزء والصفحة أو رقم الحديث إن كان حديثاً، بالإضافة إلى ذكر طبعات هذا المرجع في فهرست المصادر والمراجع في آخر الرسالة.

٦- **بينت مواضع الآيات** التي وردت في الرسالة بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٧- **عزوت الأحاديث** التي وردت في هذه الرسالة إلى مصادرها من كتب السنة المعتمدة، مكتفياً بالصحيحين إن كان فيهما، وإن لم يكن فيهما ذكرت مرجعه في غيرها مكتفياً بذكر بعضها.

٨- **ترجمت لبعض الأعلام** الذين ورد ذكرهم.

٩- **وضعت فهارس** علمية عامة للبحث، تعين على الرجوع إلى المراد منها بيسر

وسهولة، وقد اشتملت على ما يلي:

أ- **فهرس الآيات القرآنية**، حسب ترتيب سور القرآن.

ب- **فهرس الأحاديث الشريفة**، ورتبتها على الحروف الهجائية.

ج- **فهرس الأعلام المترجم لهم**، ورتبتهم حسب الحروف الهجائية.

د- **فهرس المصادر والمراجع**، وقد رتبتها على الحروف الهجائية.

هـ- **فهرس الموضوعات**، وقد بينت فيه أبواب الرسالة وفصولها ومباحثها.

خطة البحث

تتكون خطة هذا البحث من:

مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة ، وفهارس .

المقدمة

وفيها بيان أهمية الموضوع والتعريف به وأسباب الاختيار.

التمهيد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نبذة عن حياة ابن العربي.

وفيها ما يلي:

- **أولا** : اسمه ونشأته
- **ثانيا** : شيوخه وتلاميذه
- **ثالثا** : مصنفاته
- **رابعا** : وفاته

المبحث الثاني : منهج ابن العربي في تقرير الإيمان والنبوات والمعجزات والإمامة والصحابة.

الباب الأول: الإيمان

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مسائل الإيمان.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : حقيقة الإيمان.

المبحث الثاني : العلاقة بين الإيمان والإسلام.

المبحث الثالث : دخول الأعمال في مسمى الإيمان.

المبحث الرابع : زيادة الإيمان ونقصانه.

الفصل الثاني: ذكر بعض ما يضاد الإيمان.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الكفر وأنواعه.

المبحث الثاني : الشرك وأنواعه.

المبحث الثالث : النفاق وأنواعه.

الفصل الثالث: الكبائر والصغائر.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الكبيرة والفرق بينها وبين الصغيرة.

المبحث الثاني : الرد على القائلين بخلود صاحب الكبيرة.

المبحث الثالث : التوبة وشروطها.

الباب الثاني: النبوات

وفيه فصلان:

الفصل الأول: النبوة.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : حقيقة النبوة.

المبحث الثاني : الحاجة إلى الأنبياء والرد على الفلاسفة في قولهم أن النبوة مكتسبة.

المبحث الثالث : الوحي.

المبحث الرابع : عصمة الأنبياء.

المبحث الخامس : التفضيل بين الأنبياء.

الفصل الثاني: المعجزات.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : حقيقة المعجزة.

المبحث الثاني : أنواع المعجزات.

المبحث الثالث : كرامات الأولياء.

الباب الثالث: الإمامة والصحابة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الإمامة:

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الإمامة.

المبحث الثاني : مقاصد الإمامة.

المبحث الثالث : شروط الإمامة.

المبحث الرابع : وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر وحكم الخروج على الأئمة.

المبحث الخامس : صحة إمامة الخلفاء الأربعة.

المبحث السادس : إمامة المفضول.

الفصل الثاني: الصحابة.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : بيان معنى الصحبة.

المبحث الثاني : مكانتها.

المبحث الثالث : المفاضلة بين عثمان وعلي ـ رضي الله عنهما ـ وموقفه فيما شجر بين الصحابة ﷺ.

المبحث الرابع : دفاعه عن صحابة رسول الله ﷺ.

شكر وتقدير

وبعد، فإني أحمد الله تعالى وأشكره وأثني عليه الخير كله، لا أحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه، فله الحمد والشكر كله، حيث وفقني لاختيار هذا الموضوع الذي شعرت بفائدته الكبيرة منذ أن بدأت فيه، وعرفت كثيرا من كتب العقيدة المفيدة النافعة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للقائمين على هذه الجامعة وأخص بالذكر كلية التربية قسم الدراسة الإسلامية.

كما أتقدم بالشكر إلى المشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور محمد عبد المهيمن الميهي على حسن تعامله معي، وصبره علي، وعلى حسن توجيهه وملاحظاته، كما لا أنسى المشرف السابق الأستاذ الدكتور محمد أبو الغيط الفرت على حسن تعامله معي، وصبره علي وحسن توجيهه وملاحظاته، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

كما أشكر الشيخين الفاضلين فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور الشفيع الماحي أحمد، وفضيلة الشيخ الدكتور يوسف بن محمد السعيد على تفضلهما بقراءة هذه الرسالة وتجشمهما عناء تصويبها، سائلا الله ﷻ أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهما.

التمهيد

و فيه مبحثان:

المبحث الأول : نبذة عن حياة ابن العربي.

المبحث الثاني : منهج ابن العربي.

المبحث الأول

نبذة عن حياة أبي بكر ابن العربي

وفيها ما يلي:

أولاً : اسمه ونشأته.

ثانياً : رحلته لطلب العلم.

ثالثاً : شيوخه وتلاميذه.

رابعاً : مصنفاته.

خامساً : ثناء العلماء عليهم ووفاته.

أولاً: نشأته وبداية طلبه للعلم:

هو الإمام العلامة الحافظ القاضي:

محمد بن عبد الله بن محمد ابن عبد الله ابن أحمد بن العربي المعافري، من أهل إشبيلية ويكنى أبا بكر.

قال ابن بشكوال:« سألته عن مولده فقال لي: ولدت ليلة الخميس، لثمان بقين من شعبان، سنة ثمان وستين وأربعمائة»[1]، « وكان أبوه أبو محمد عبد الله[2] بإشبيلية بدراً في فلكها، وصدراً في مجلس ملكها، واصطفاه معتمد بن عباد وولاه الولايات الشريفة، وبوأه المراتب المنيفة»[3].

وأورد كلام أبي بكر رحمه الله عن بدايته لطلب العلم حيث قال رحمه الله:

« وكان من حسن قضاء الله أني كنت في عنفوان الشباب وريان الحداثة، وعند ريعان النشأة، رتب لي أبي ــ رحمه الله ــ معلماً لكتاب الله، حتى حذقت القرآن في العام التاسع، ثم قرن بي ثلاثة من المعلمين، أحدهم هو لضبط القرآن بأحرفه السبعة التي جمعها الله فيه، ونبَّه الصادق ﷺ عليها في قوله: " أنزل القرآن على سبعة أحرف "[4]، في تفصيل، فيها والثاني لعلم العربية، والثالث للتدريب في الحسبان.

فلم يأت عليّ ابتداء الأشد في العام السادس عشر من العدد، إلا وأنا قد قرأت من أحرف القرآن نحواً من عشرة، بما يتبعها من إدغام، وإظهار، وقصر، ومد، وتخفيف، وشد، وتحريك، وتسكين، وحذف، وتتميم، وترقيق، وتفخيم.

---

[1] الصلة لابن بشكوال ٥٩١/٢ ، والديباج المذهب ٢٥٢/٢ .

[2] أبو محمد عبد الله ابن العربي كان من وزراء الدولة العبادية، ومن أعيانها، وقد برع في اللغة والشعر والبلاغة والفصاحة، توفي بمصر سنة ٤٩٣هـ انظر: الصلة ٤٠٢/٢ .

[3] نفح الطيب للمقرى ٣٣/٢-٣٤ ، والديباج المذهب لابن فرحون ٣٧٦/٢ .

[4] أخرجه البخاري، الفتح ٢٣/٩ ، في كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ومسلم ٤٦٨/١ ، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف.

وقد جمعت من العربية فنونا، وتصرفت فيها تمرينا »[1].

ثم ذكر مجموعة مما قرأها من الكتب في العربية وغيرها مما تعلمه في الصغر ثم قال:

« يتعاقب عليّ هؤلاء المعلمون من صلاة الصبح إلى أذان العصر، ثم ينصرفون عني، وآخذ في الراحة إلى صبح اليوم الثاني، فلا تتركني نفسي فارغا من مطالعة، أو مذاكرة، أو تعليق فائدة، وأنا بغرارة الشباب أجمع من هذه الجمل ما يجمل وما لا يجمل، والقدر يخبؤها عندي للانتفاع بها في الرد على الملحدين، والتمهيد لأصول الدين »[2].

---

[1] قانون التأويل ص٤١٦ .

[2] المرجع السابق ص٤١٩ .

ثانياً: رحلته لطلب العلم:

رحل أبو بكر ـ رحمه الله تعالى ـ إلى أقطار شتى حيث رحل من الأندلس إلى بلاد المشرق الإسلامي؛ مصر وبيت المقدس وبغداد والحجاز، رغبة في تحصيل العلم، واقتداء بمن سلف من العلماء الذين ارتحلوا لطلبه، وكان ممن صحبه في تلك الرحلة أبوه، وكان وجوده معه من أعظم أسباب جده في طلبه للعلم، كما ذكر ذلك رحمه الله[1].

وكان سبب تلك الرحلة شغفه بالعلم، فقد كان رحمه الله قد جلس مع بعض معلميه يتدارس العلم، فإذا برجل يدخل ومعه مجموعة من رزمة الكتب، فإذا هي من تأليف السمناني[2] شيخ الباجي[3]، فسمعهم يثنون على هذه الكتب، وأنها كتب عظيمة جلبها الباجي من المشرق، فأثرت هذه الكلمة فيه، وجعلته يفكر بجد في الرحلة لتلك البلاد، ومن هذه الديار التي رحل إليها:

١- الديار المصرية:

فقد ركب البحر في هذه الرحلة من بلاد المغرب، وتعرض لأهوال عظيمة، ولولا لطف الله لغرق هو ومن معه[4].

---

(١) قانون التأويل ص٣٣٥ .

(٢) هو القاضي العلامة أبو جعفر أحمد بن محمد السمناني، توفي ـ رحمه الله ـ في ٤٤٤هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (٣٠٤/١٨) .

(٣) هو الإمام الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف التجيبي الباجي، له تصانيف كثيرة في الفقه والكلام والزهد، توفي رحمه الله سنة ٤٧٤هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (٥٣٥/١٨).

(٤) انظر: قانون التأويل ص٤٢٨ .

وكل ذلك كان في الطريق إلى مصر، فانتهوا إلى بيوت بني كعب بن سليم، فأكرمهم أميرها، ووقع معه حادثة تدل على ذكاء أبي بكر وعلمه رغم حداثة سنه[١] رحمه الله[٢].

فأكمل الطريق إلى الديار المصرية، وممن التقى بهم في مصر شعيب العبدري[٣]، واستزاد العلم هناك، وناظر الشيعة والقدرية.

---

[١] أنه لما دخل على الأمير: ألفيناه وهو يدير بأعواد الشاه، فعل السامد اللاه، فدنوت منه في تلك الأطمار، وسمح لي بيادقته، إذ كنت من الصغر في حد يسمح فيه للأغمار، ووقفت بإزائهم، أنظر إلى تصرفهم من ورائهم، إذ كان علق بنفسي بعض ذلك من بعض القرابة في مجلس البطالة، مع غلبة الصبوة والجهالة. قلت للبيادقة:
الأمير أعلم من صاحبه، فلمحوني شزرا، وعظمت في عيونهم بعد أن كنت نزرا، وتقدم إلى الأمير من نقل إليه الكلام، فاستدعاني، فدنوت منه فسألني: هل لي بما هم فيه بصر؟.
فقلت: لي فيه بعض نظر سيبدو لك ويظهر: حرك تيك القطعة، ففعل، وعارضه صاحبه، فأمرته أن يحرك أخرى، وما زالت الحركات بينهم كذلك تترى حتى هزمه الأمير، وانقطع التدبير، فقالوا: ما أنت بصغير، وكان في أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عم الأمير منشدا:

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه ... وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

[هذا البيت للمتنبي من قصيدة قالها في مدح سيف الدولة الحمداني. ديوان المتنبي (٣/٤٩) ، ط/ بشرح عبد الرحمن البرقوقي]
فقال: لعن الله أبا الطيب، أو يشك الرب؟.
فقلت له في الحال: ليس كما ظن صاحبك أيها الأمير، إنما أراد بالرب ها هنا الصاحب، تقول: ألذ الهوى ما كان العشق فيه من الوصال وبلوغ الآمال على ريب، فهو في وقته كله، بين رجاء لما يؤمله، وتقاة لما يقطع به.
وأخذنا نضيف إلى ذلك من الأغراض، في طرفي الإبرام والانتقاض، ما حرك فيهم إلى مبرتي داعي الانتهاض، وأقبلوا يتعجبون مني، ويسألون كم سني، ويستكشفونني عني، فبقرت لهم حديثي، وذكرت لهم نجيثي، وأعلمت الأمير بأن أبي معي، فاستدعاه، وقمنا الثلاثة إلى مأواه، فخلع علينا خلعه، وأسبل أدمعه، وجاء كل خوان بأفنان الألوان، فقال لنا: لا تسرفوا فإن الشبع بأثر الجوع معطب، وكأني بكم لم يترل بكم سغب.
وأقمنا عنده حتى ثابت إلينا نفوسنا، وذهب عنا بؤسنا، وسألنا الإقامة عنده على أن يصير إلينا صدقات بني سليم كلها، فأبينا إلا الاستمرار على العزيمة الأولى، والتصميم إلى المرتبة الكريمة التي كانت بنا أولى، ففارقناه على ضنانة بنا وحرص علينا، وإلى الآن يرد علي ذكره وسلامه، وينال كل من ذكرني عنده بره وإكرامه.
فانظر إلى هذا العلم الذي هو إلى الجهل أقرب، مع تلك الصبابة اليسيرة من الأدب، كيف أنقذت من العطب.
انظر: قانون التأويل ص٤٢٨-٤٣٣ ملخصا.

[٢] انظر: قانون التأويل ص٤٣٠ .

[٣] شعيب بن سعيد العبدري، من أهل طرطوشه، سكن الإسكندرية، الصلة ابن بشكوال (١/٢٣٤).

٢- بيت المقدس والشام:

ومن البلاد التي رحل إليها بيت المقدس، فدرس في مدرسة الشافعية، ومكث هناك حوالي ثلاث سنوات، فجد في طلب العلم هناك، واستفاد كثيرا من مجالس المناظرات التي كان يحضرها، ومن مجالسة للعلماء، فأقبل على التحصيل والقراءة وترك الدنيا ويواصل الليل بالنهار.

وممن تتلمذ عليهم هناك أبو بكر الفهري[1].

قال أبو بكر: « نفعني الله به في العلم والعمل، ويسر لي على يديه أعظم أمل »[2].

وكذلك نصر بن إبراهيم السماع[3]، سمع عليه كتاب البخاري.

وذكر مما دخله في بيت المقدس باب حطة، وهو الباب الذي أمر بنو إسرائيل بالدخول منه، وهو الباب الثامن من أبواب المسجد، وهو من جهة القبلة معلوم مذكور، قال أبو بكر: « دخلته سنة ٤٨٦هـ وسجدت وخضعت، وقلت لا إله إلا الله، اللهم أحطط عني ذنبي واغفر لي،... وأكثر من الدخول والقول سمعنا وأطعنا والحمد لله رب العالمين »[4].

٣- بغداد:

ومن البلاد التي رحل إليها أبو بكر ابن العربي رحمه الله بغداد سنة تسع وثمانين وأربعمائة، فواظب على مجالس العلماء، وممن افتخر بالتتلمذ على يديه والثناء عليه ثناء عظيما أبو بكر الشاشي[5].

---

[1] هو محمد بن الوليد الطرطوشي، فقيه واعظ زاهد، صحب الباجي، توفي سنة ٥٢٠هـ. انظر: الصلة (٢/٥٧٥).

[2] قانون التأويل ص٣٣٦ .

[3] ستأتي ترجمته في شيوخه ص ٢٢ .

[4] انظر: عارضة الأحوذي (١١/٧٨).

[5] محمد بن أحمد، رئيس الشافعية، ورع، زاهد، توفي سنة ٥٠٧هـ. انظر تذكرة الحفاظ (٤/١٢٤١).

وأيضا ممن لقيهم في بغداد وأثنى عليه ثناء عظيما أبو حامد الغزالي[١]، فشرع بالقراءة عليه والسماع، وكذلك ممن تتلمذ عليه إسماعيل الطوسي[٢].

وحج أثناء رحلته إلى المشرق، وقد لاقى في طريقه إلى الحج ما كاد أن يهلك به لولا لطف الله به[٣]، ثم عاد إلى بلاده الأندلس سنة خمس وتسعين وأربعمائة بعد أن مضى في رحلته تلك قرابة عشرة أعوام، مما كان لهذه الرحلة أكبر الأثر على مسيرته العلمية[٤].

ولاية القضاء:

وقد تولى القضاء ببلده فنفع الله به لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه، وكانت له صولة مرهوبة تؤثر عنه.

---

[١] محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، صاحب التصانيف، توفي سنة ٥٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٩).

[٢] إسماعيل بن عبد الملك الحاكمي الطوسي، كان إماما بارعا، توفي سنة ٥٢٩هـ. انظر: طبقات الشافعية (٤٧/٧).

[٣] ذكر قصة حجه وما وقع له فيها من شدائد قال:

« وذلك أني خرجت من الكوفة إلى مكة سنة تسع وثمانين راكبا معادلا لأبي رحمة الله عليه، حتى بلغنا مكة فقضينا حجنا ثم عدنا إليها، فلما كنا ببطن نخلة، ضربنا برد عظيم الجرم، قتل كثيرا من الإبل والناس، وحمل وادي نخلة علينا وكنا فيمن بكر فعبر، فمن صادفه السيل فيه حمله إلى البحر، فلم يرد أبدا وعدنا نفر قليلا، وحدث في الجمال طاعون، ثم تصيبه الفرة، فيصيح ويرمى به في الأرض فينحر، ويقتسمه الناس ويرمون رحالهم في البيداء ويتعرون من ثيابهم ودعت الضرورة أن أمشي راجلا من قيد إلى الكوفة خمس عشرة مرحلة لموت الجمال، ومعنا الكراء لو وجدنا الجمال، لكن الطاعون استولى عليها ورمينا جميع ما كان معنا، ولم يبق علي إلا لباسي وكنت أمشي مع أصحابنا من الطلبة نتذاكر ونتناظر ونتسلى عن الرحلة النهار كله، حتى إذا جاء الليل وقعت على اسم الميت، وأوقدنا النار، وقطعنا لحم أرجلنا، وكويناها بالشحم وربطناها بالخرق وكنت أضطجع، وأقول هذا مرقدي الذي يبعثني الله ﷻ منه، وأنام، فإذا أصبحت وجدت خفة، وكأن لم أكن البارحة، فإذا أخذت في المشي، عادت قوتي، وتصلب اللحم الآخر عند مشيتي وكانت هذه عادتي نهاري وليلي وأنا أتعجب من وثوب تجلدي وقوتي وذكر أنه مر الربذة.

وشاهد قبر أبي ذر ﷺ وكان في مكة ذي الحجة سنة تسع وثمانين وأربعمائة وسمع من شيوخها.

انظر: سراج المريدين ص٩٩ عن آراء أبي بكر الكلامية (٥٠/١)، والصلة (٥٩٠/٢).

[٤] الصلة (٥٩٠/٢)، وبغية الملتمس ص٩٣ ، والديباج المذهب (٢٥٣/٢).

وكان مما جعله يتولى القضاء رغبته ـــ رحمه الله ـــ في الإصلاح ورد الظلم وبث الأمن، وحفظ الأموال، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فتعرض ـــ رحمه الله ـــ من السفهة العامة إلى الاعتداء عليه، فنشلوا ماله ونهبت داره وهدم مسجده وداره، فانصرف عن القضاء، وانقطع للعلم للتأليف والتدريس والبحث، فأقبل عليه الطلاب، وكانت مجالسه لا تنقطع ليلا ونهارا[1].

---

[1] انظر: الديباج المذهب (٢/٢٥٥-٢٥٦).

ثالثا: شيوخه وتلاميذه:

▫ **شيوخه.**

وحيث أن أبا بكر رحمه الله قد رحل في طلب العلم فشيوخه كثيرون، وقد سبق ذكر طرف منهم أثناء رحلته لطلب العلم، فنذكر بعضا منهم غير ما سبق ذكره على سبيل المثال، فمن شيوخه:

- **أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي**[1]، النابلسي الصالح المشهور مفتي الأنام الفقيه الزاهد الورع العابد، كان إماما علامة مفتيا محدثا، حافظا زاهدا، متبتلا ورعا، توفي وعمره ثمانون سنة، له مؤلفات منها الحجة على تارك المحجة، توفي سنة ٤٩٠[2].
- **أحمد بن محمد بن عبد الواحد الصباح أبو منصور**[3]، وكان فقيها فاضلا كثير الصلاة ويصوم الدهر، وقد ولي القضاء[4]، توفي سنة ٤٩٤هـ.
- **جعفر بن أحمد بن حسين، أبو محمد البغدادي المقري السراج**[5]، كان ثقة بارعا إخباريا علامة كثير الشعر حسن التصانيف، توفي في صفر سنة ٥٠٠[6].
- **أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطي**[7]، الحافظ مفيد بغداد، قال أبو سعد: حافظ متقن كثير السماع واسع الرواية، دائم البشر، سريع الدمعة، جمع وخرج، لعله ما

---

(١) ذكره أبو بكر بن العربي في قانون التأويل وأنه سمع منه صحيح البخاري وغير ص٤٤ .

(٢) مرآة الجنان (٣/١١٦-١١٧).

(٣) ذكره في عارضة الأحوذي (٣/٢٠٧).

(٤) البداية والنهاية (١٢/١٦٠).

(٥) ذكره في العواصم من القواصم ص١٥١ .

(٦) العبر للذهبي (٢/٣٨٠).

(٧) ذكره المقري أنه من شيوخ أبي بكر في نفح الطيب ٢/٢٣٤. انظر: مرآة الجنان (٣/١١٦-١١٧).

بقي جزء عال أو نازل إلا قرأه ولم يتزوج قط، توفي في المحرم سنة ٥٣٨هـ وله ست وسبعون سنة[١].

- **أبو الخطاب نصر بن أحمد بن البطر البزاز القاري**[٢]، طال عمره ورحل إليه من الآفاق وكان صحيح السماع، انفرد بالرواية عن جماعة، توفي سنة ٤٩٤هـ[٣].
- **أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي الحنبلي**[٤]، فقيه واعظ أصولي، شيخ الحنابلة في وقته، له كتاب الفنون، قال عنه الذهبي: لم يصنف في الدنيا أكبر منه، توفي سنة ٥١٣هـ[٥].
- **أبو القاسم مكي بن عبد السلام الرميلي**[٦]، من كبار الحفاظ، مؤرخ رحالة، حافظ فقيه على مذهب الشافعي، قتل ببيت المقدس محاربا سنة ٤٩٢هـ[٧].



---

(١) العبر (٢/٤٥٤)، البداية والنهاية (١٢/٢١٩).

(٢) ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ ص١٢٩٤.

(٣) تذكرة الحفاظ ص١٢٩٤ ، والبداية والنهاية (١٢/١٦١).

(٤) ذكره أبو بكر في أحكام القرآن (٢/٥٥٤).

(٥) لسان الميزان (٤/٢٣٤).

(٦) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٠/١٩٧)، وتذكرة الحفاظ ص١٩٩٤ .

(٧) العبر (٣/٣٣٤).

▫ **تلاميذه:**

ذكرت المصادر التي ترجمت لابن عربي تلاميذ كثيرين أفادوا منه، ونقلوا من علمه، ومن هؤلاء: الإمام الذهبي، والضبي، وابن فرحون، واليافعي وغيرهم، ومن تلاميذه:

- **عبد الخالق بن أحمد بن أبي عبد القادر بن محمد بن يوسف**، الشيخ الإمام الحافظ المفيد أبو الفرج محدث بغداد، مولده في سنة أربع وستين وأربعمائة، توفي في الرابع والعشرين من محرم سنة ٥٤٨هـ وله ٨٤ سنة[١].
- **أحمد بن أحمد بن أحمد الأزدي أبو جعفر**، فقيه أديب حافظ محدث موثق، توفي قبل ٥٨٠هـ[٢].
- **أبو بكر بن خير واسمه محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللتموني الإشبيلي**، المقري الحافظ فاق الأقران في ضبط القراءات وسمع الكثير من ابن العربي وبرع في الحديث، توفي ربيع الأول سنة ٥٧٥هـ عن عمر ٧٣ سنة[٣].
- **أبو محمد بن عبيد الله الحجري الأندلسي**، الحافظ الزاهد القدوة، أحد الأعلام عبد الله بن محمد بن علي، سمع فأكثر عن أبي الحسن بن مغيث وابن العربي والكبار وتفنن في العلوم وبرع في الحديث، توفي في أول صفر سنة ٥٩١هـ[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/٢٧٩)، والعبر (٤/١٣٠-١٣١)، وتذكرة الحفاظ (٤/١٣١٣).

(٢) بغية الملتمس ص١٧١ .

(٣) العبر للذهبي (٣/٦٩).

(٤) العبر للذهبي (٣/١٠٤).

- **ابن الفخار أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن خلف الأنصاري المالغي**، الحافظ صاحب أبي بكر بن العربي، أكثر عنه وكان إماما معروفا يسرد المتون والأسانيد، عارفا بالرجال واللغة، ورعا جليل القدر، مات بشعبان سنة ٥٩٠هـ وله ثمانون سنة[١].
- **أبو القاسم ابن بشكوال خلف بن عبد الملك بن مسعود الأنصاري القرطبي**، الحافظ، محدث الأندلس ومؤرخها ومسندها، وله عدة تصانيف، توفي سنة ٥٧٨هـ[٢].

---

[١] العبر الذهبي (٣/١٠٢).

[٢] مرآة الجنان (٣/٤٣٢)، والديباج (١/٣٥٤).

رابعا: مؤلفات الإمام أبو بكر:

من مؤلفات أبي بكر ابن العربي ــ رحمه الله ــ :

- **أحكام القرآن:**

وهذا كتاب من أرفع كتب ابن العربي قدرا وأكثرها انتشارا، وقد ذكره ابن العربي في كتابه عارضة الأحوذي[1]، وقد طبع في أربع مجلدات، ويشتمل الكتاب على تفسير الآيات التي تتعلق بالأحكام الفقهية ومسائل التوحيد وغيرها من الفوائد، مبتدءا بسورة الفاتحة ومنتهيا بسورة الناس.

- **عارضة الأحوذي في شرح الترمذي:**

وهو شرح سنن الترمذي، نسبه إليه المقري[2]، وابن خلكان في وفيات الأعيان[3]، وهو كتاب مطبوع ضخم في ثلاثة عشر جزء، ويتكلم في الإسناد والرجال، والغريب، ومسائل العقيدة، والأحكام والآداب، ويشتمل على فوائد كثيرة، وآراؤه تشهد له بعلو كعبه ــ رحمه الله ــ.

- **كتاب المحصول في أصول الفقه:**

وهذا كتاب ذكره المقري في نفح الطيب[4]، وتوجد منه نسخة خطية بمكتبة ابن يوسف تحت رقم (٩٢٤)، كما يوجد بالخزانة العامة بالرباط، مصورة من تحت رقم (٦٤٠)[5]، وقد حقق هذا الكتاب وهو مطبوع متداول.

---

[1] عرضة الأحوذي (١/٥١، ٥٩، ١١٦).

[2] أزهار الرياض ٣/٩٣ .

[3] وفيات الأعيان ٤/٢٩٧ .

[4] نفح الطيب ٢/٣٥ .

[5] الأفعال ص ٢٩ .

- **القبس على موطأ الإمام مالك بن أنس:**

وهو شرح مختصر ركز على استنباطه الأحكام الفقهية، يقول الإمام أبو بكر ابن العربي عن منهجه في مقدمة كتابه: « هذا كتاب القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ وهو أول كتاب ألف في شرائع الإسلام، ...، لأنه لم يؤلف مثله، إذ بناه مالك ﷺ على تمهيد الأصول للفروع، ونبه فيه على معظم أصول الفقه التي ترجع إليها مسائله وفروعه »[١]، وهو كتاب مطبوع متداول.

- **العواصم من القواصم:**

وهذا الكتاب مشهور ومتداول، وخصوصا الجزء الخاص فيما يتعلق بالصحابة، حيث طبعه محب الدين الخطيب، ثم طبع الكتاب كاملا في الجزائر بتحقيق د.عمار الطالبي.

- **الأمد الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا:**

ذكر هذا الكتاب في العارضة[٢]، والمقري[٣]، وهو مخطوط، وتوجد منه صورة لدى مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- **كتاب المتوسط في الاعتقاد:**

وهذا الكتاب مخطوط، وقد ذكره أبو بكر في العارضة[٤].

- **أنوار الفجر:** ذكره في كثير من كتبه وذكره المقري في نفح الطيب[٥] في ترجمة أبي بكر، وهذا أعظم كتاب له.

---

[١] القبس في شرح الموطأ ص ٧٥ .

[٢] العارضة ٣٩/١٣ .

[٣] نفح الطيب ٣٥/٢ .

[٤] العارضة ١١٨/١٣ .

[٥] نفح الطيب ٣٥/٢ .

- **كتاب النيرين في الصحيحين:** ذكره المقري في نفح الطيب[1].
- **الناسخ والمنسوخ:** ذكره المقري في نفح الطيب[2]، وذكر د. عمار الطالبي أنه توجد نسخة منه ناقصة من أولها بمكتبة الكتاني، نقلا عن مجلة معهد المخطوطات العربية مجلده جـ١ ص١٦٣[3].
- **شرح حديث أم زرع:** ذكره المقري في نفح الطيب جـ٢ ص٣٥ .
- **شرح حديث جابر في الشفاعة:** ذكره المقري في نفح الطيب ٣٥/٢ .
- **الكلام على مشكل حديث السبحات والحجاب:** ذكره المقري في نفح الطيب ٣٥/٢ .
- **شرح حديث الإفك:** ذكره المقري في نفح الطيب ٣٥/٢ .
- **كتاب النواهي والدواهي:** ذكره المقري في نفح الطيب ٣٥/٢ .
- **تبيين الصحيح في تعيين الذبيح:** ذكره المقري في نفح الطيب ٣٥/٢ .
- **ترتيب الرحلة:** ذكره المقري في نفح الطيب ٣٥/٢ ، قيل إنه توجد قطعة منه في كتاب مجموع، بخزانة الوثائق بالرباط[4].
- **كتاب العقد الأكبر للقلب الأصغر:** ذكره المقري في نفح الطيب ٣٥/٢ .

وغيرها من الكتب، وكثير منها مفقود.

---

[1] المرجع السابق ٣٥/٢.

[2] نفح الطيب ٣٥/٢ .

[3] آراء أبي بكر الكلامية ٦٨/١ .

[4] آراء أبي بكر الكلامية ٨٢/١ .

خامسا: ثناء العلماء عليه:

أثنى عليه العلماء رحمه الله ممن عاصروه ومن بعدهم، لسعة علمه وزهده وورعه وقوة في الحق، فقال عنه ابن فرحون في الديباج المذهب:

« وقدم بلده إشبيلية بعلم كثير، لم يأت به أحد قبله، ممن كانت له رحلة إلى المشرق، وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها، متقدما في المعارف كلها، متكلما في أنواعها نافذا في جميعها، حريصا على أدائها ونشرها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها، ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق، مع حسن المعاشرة، وكثرة الاحتمال، وكرم النفس، وحسن العهد، وثبات الود، فسكن بلده، وسمع، ودرس الفقه والأصول وجلس للوعظ والتفسير، ورحل إليه للسماع، وصنف في غير فن تصانيف مليحة كثيرة حسنة مفيدة »[1].

وقال عنه تلميذه ابن بشكوال: « أبو بكر الإمام العالم الحافظ المستبحر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها، وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها، إلى آخر كلامه رحمه الله »[2].

وقال عنه الذهبي: « أبو بكر ابن العربي الإمام العلامة الحافظ القاضي صاحب التصانيف »[3].

وقال الذهبي: « وكان أبو بكر أحد من بلغ رتبة الاجتهاد فيما قيل »[4].

وقال ابن كثير: « كان فقيها عالما، وزاهدا عابدا »[5].

---

[1] الديباج المذهب ص٣٧٧ .

[2] الصلة ٢/٥٩٠-٥٩١ .

[3] سير أعلام النبلاء ٢٠/١٩٧-١٩٨ .

[4] تذكرة الحفاظ ٤/١٢٩٦ .

[5] البداية والنهاية ١٢/٢٢٨ .

وفاته:

بعد حياة حافلة بالتعليم والتعلم والقضاء ونفع الأمة، والاجتهاد والحرص على ما ينفع المسلمين، توفي الإمام ـــ رحمه الله ـــ بعد إصابته بالعدوة، ودفن بمدينة فـــاس في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة[1].

(1) نفح الطيب ٣٠/٢ .

المبحث الثاني

منهج ابن العربي
في
تقرير الإيمان والنبوات والمعجزات
والإمامة والصحابة

إن ابن العربي ـــ رحمه الله ـــ في بحثه لهذه المسائل وتقريره لها نهج منـــهج أهـــل السنة والجماعة، ويتبين ذلك بالآتي:

الاستدلال:

فإن ابن العربي ـــ رحمه الله استدل في هذه المسائل بالنقل، ويقصد بالنقل الكتاب والسنة.

أ- استدلاله بالكتاب:

اعتمد ابن العربي على كتاب الله مصدرا أساسيا في الاستدلال، ومن الأمثلة علـى ذلك استدلاله بأن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، استدل بقوله تعالى: ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾[1][2].

ومن ذلك استدلاله على زيادة الإيمان ونقصانه بقولـــه تعـــالى: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ [3]، وبقوله: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ﴾ [4]، وقال في جهـــة الكفار: ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ [5][6].

واستدل على صحة إمامة الخلفاء الأربعة بقولـــه تعـــالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

---

[1] سورة البقرة الآية: ١٤٣ .

[2] أحكام القرآن (٦٢/١).

[3] سورة المدثر الآية: ٣١ .

[4] سورة مريم الآية: ٧٦ .

[5] سورة التوبة الآية: ١٢٥ .

[6] أحكام القرآن (٥٠٨/٢).

وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ »[1][2].

إلى غير ذلك.

واستنار بفهم السلف لهذه الآيات وهذه الأحاديث، ولم يخرج عما ذهبوا إليه[3]، وهذا هو منهج الراسخين في العلم.

ب- استدلاله بالسنة:

السنة هي المصدر الثاني من مصادر تلقي العقيدة عند المسلمين، وفيها تفسير ما أجمل وبيان ما أبهم، وهي المبينة للقرآن والمفسرة له، وقد اعتمد ابن العربي السنة مصدرا أساسيا ثانيا، لذلك استدل بالسنة في كثير من المسائل التي عرضها في هذه المباحث، ومن الأمثلة على ذلك: استدلاله على دخول الأعمال في الإيمان بحديث وفد عبد القيس حينما أجابهم عن الإيمان، فقال ﷺ: « الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا الخمس من المغنم »[4]، فسمى ذلك إيمانا[5].

ومن استدلاله بالسنة كذلك ما استدل به على زيادة الإيمان ونقصانه، استدل بحديث عائشة أن النبي ﷺ قال: « من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله »[6].

---

(١) سورة النور الآية ٥٥ .

(٢) أحكام القرآن (٣/٤٠٩).

(٣) انظر: ص ٧٧ من هذه الرسالة.

(٤) سيأتي تخريجه.

(٥) عارضة الأحوذي (١٠/٧٧).

(٦) سيأتي تخريجه.

ومما استدل به ابن العربي من السنة، ذكر من شروط الإمام الذكورية، واستدل على ذلك بقول النبي ﷺ حين بلغه أن كسرى لما مات ولى قومه بنته: « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة »[١].

واستدل بالسنة على وجوب طاعة الإمام وعدم جواز الخروج عليه بحديث العرباض بن سارية، قال: «وعظنا رسول الله ﷺ يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا... » الحديث[٢].

إلى غير ذلك من الأمثلة.

و لم يفرق ابن العربي بين أحاديث الآحاد والأحاديث المتواترة كما فرق بينهما في مسائل الإلهيات[٣].

ج- استدلاله بالعقل:

يعتبر العقل آلة الإدراك والتمييز عند الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[٤]، وقال: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[٥]، إلى غيرها من الآيات.

---

[١] أخرجه البخاري الفتح ١٢٦/٨ .

[٢] عارضة الأحوذي ١٤٩/١٠ .

[٣] انظر: العواصم من القواصم ص٢٢٤ ، ط/ دار الثقافة.

[٤] سورة الإسراء الآية: ٧٠ .

[٥] سورة يونس الآية: ١٠١ .

والرسول ﷺ استخدم الإقناع بالأدلة العقلية عند الحاجة، لحديث أبي هريرة ﷺ قال النبي ﷺ: « لا عدوى، ولا صفر، ولا هامة »، فقال الأعرابي : يا رسول الله، فما بال الإبل تكون في الرمل، كأنها الظباء، فيخالطها البعير الأجرب فيجربها؟ فقال رسول الله ﷺ: « فمن أعدى الأول »[1].

قال القرطبي: « وفي جواب النبي ﷺ للأعرابي جواز مشافهة من وقعت له شبهة في اعتقاده، بذكر البرهان العقلي إذا كان السائل أهلا لفهمه، وأما من كان قاصرا فيخاطب بما يحتمله عقله من الإقناعات »[2].

وابن العربي ـ رحمه الله ـ يستدل بالنقل والعقل، ونذكر مثالا على ذلك في الاستدلال على زيادة الإيمان ونقصانه، فقد أراد أن يبرهن بالعقل على زيادة الإيمان ونقصانه فقال: « وتحقيق القول في ذلك أن العلم يزيد وينقص، وكذلك العمل، والكل واحد وحقيقة واحدة لا يختلف ولا يخرج واحد منها عنه، وإن كانت كلها أعراض... وذلك أن الشيء لا يزيد بذاته ولا ينقص بها، وإنما له وجود أول، فلذلك الوجود أصل، ثم إذا انضاف إليه وجود مثله وأمثاله كان ذلك زيادة فيه، وإن عدمت تلك الزيادة فهو النقص، وقدر ذلك في العلم أو في الحركة، فإن الله إذا خلق علما فردا وخلق مثله أو أمثاله بمعلومات مقدرة فقد زاد علمه، فإن أعدم الله الأمثال فقد نقص، أي: زالت الزيادة، وكذلك لو خلق حركة وخلق معها مثلها أو أمثالها، فإذا خلق الله للعبد العلم به من وجه، وخلق له التصديق به بالقول النفسي أو الظاهر، وخلق له الهدى للعمل به، ثم خلق له مثل ذلك وأمثاله، فقد زاد بها إيمانه، وبهذا المعنى على أحد الأقوال فضل الأنبياء على الخلق، فإنهم علموه تعالى من وجوه أكثر من الوجوه التي علمه الخلق بها، فمن

---

[1] أخرجه البخاري في الفتح (٢٤١/١).

[2] فتح الباري (٢٤٣/١٠).

عذيرى ممن يقول: إن الأعمال تزيد وتنقص ولا تزيد المعرفة ولا تنقص، لأنها عـرض، ولا يعلم أن الأعمال أعراض، والحالة فيها واحدة »[١].

وقال أيضا في موضع آخر: « وظن جملة من الأصحاب أن الإيمان لا يزيـد ولا ينقص لأنه عرض، وذهبوا إلى أن الأعراض لا تدخلها الزيادة والنقصان كمـا تدخـل الأجسام، ولذلك صار عرض أكثر من عرض وسواد أكثر من سواد، فإذا قدرت حركة أو سودا أو علما على أقل مراتب وجوده، ثم قدرت إضافة مثله وأمثاله إليه فهو زيـادة على ذلك الأصل المقدر، فإذا قدرت حذف ما زاد، فقد زاد بما انضاف إليـه ونقـص بما عدم منه، ولو قدرت زوال ذلك الأصل لكان عدمـا، وهـذا صحيـح في كـل عرض وجسم »[٢].

---

[١] أحكام القرآن (٢/٥٠٧-٥٠٨).

[٢] عارضة الأحوذي (١٠/٨٤).

تعارض العقل والنقل عند ابن العربي:

في موقف ابن العربي عند تعارض العقل والنقل أقوال مختلفة، فنجده يصرح بعدم وجود تعارض بين الأدلة العقلية والنقلية، وإن وجد فإنما هو في الظاهر بتقصير من الناظر، قال ابن العربي ــ رحمه الله ــ: « إن العقل والشرع إذا تعارضا فإنما في الظاهر بتقصير الناظر، وقد يظهر للناظر المقصر أن يجعل الشرع أصلا فيرد إليه العقل، وقد يرى غيره أن يجعل العقل أصلا فيرد الشرع إليه، وقد يتوسط آخر فيجعل كل واحد منهما أصلا بنفسه، فالناظر الذي قدم المعقول سيأتيه من ظاهر الشرع ما يقلب حقيقة الشرع ولا سبيل إليه، والذي يجعل العقل أصلا والشرع تبعا، إن أخذه كذلك مطلقا ورد ما ينكره القلب ببادي الرأي في مورد الشرع مما يستحيل في العقل، فإن وقف في وجه الشرع فهو مكذب، وإن قال بما في الشرع فهو متناقض، وإن توسط فهو الناظر العدل، يجعل كل واحد منهما أصلا عقلا ونقلا »[1].

فابن العربي ــ رحمه الله ــ يرى أن التوسط تجاه الشرع والعقل أن نجعل كل واحد منهما أصلا، حتى لا يكذب الشرع ولا يناقض العقل.

ولكنه في موضع آخر يبين أنه لا بد من تأويل الشرع إذا كان حمله على ظاهره محال، قال ابن العربي ــ رحمه الله ــ: « فإذا جاء ما ينافي العقل ظاهره فلا بد أيضا من تأويله، لأن حمله على ظاهره محال، فيكون غير مفهوم والشرع لا يأتي به، فلا بد من تأويله »[2].

---

[1] قانون التأويل ص٦٤٧ .

[2] العواصم ص٢٣١ .

بل في موضع آخر صرح أن مسائل التوحيد ما جاز ظاهره عليه نفذ وما امتنع يعدل به عنه إلى أقرب وجوهه إليه[١].

لذلك نجد ابن العربي ــ رحمه الله ــ قد ظهر عنده واضحا جليا تقديم العقل على النقل في الصفات كما هو منهج الأشاعرة في التأويل.

فقد قال في قوله ﷺ: " ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء "[٢]: « وقوله "في السماء" إخبار ــ كما تقدم ــ عن غاية الرفعة ومنتهى الجلالة، لا عن محل استقر فيه... »[٣] [٤].

وأيضا نجد عنده التأويل في صفة اليد لله سبحانه وتعالى، عدل إلى التأويل بالقدرة عند قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[٦].

قال:«وهذا كله عبارة عن القدرة، وضرب الله اليد مثلا إذ هي آلة التصرف عندنا»[٧] [٨].

ولم يثبتها على أنها يد على الحقيقة تليق بجلال الله سبحانه وتعالى من غير تشبيه ولا تكييف، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

فنجده هنا قدم العقل على النقل، أما في مسائل الإيمان والنبوة والإمامة فنجده وافق كثيرا مما ذهب إليه أهل السنة، فنجده عرف الإيمان بأنه الاعتقاد والقول

---

[١] انظر: العارضة (١١/٤٩).

[٢] أخرجه أحمد (٢/١٦٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٢١٦).

[٣] عارضة الأحوذي (٨/١٠٨).

[٤] ومذهب أهل السنة أن الآية تدل على أن الله سبحانه في السماء على الحقيقة كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف على ذلك، ولمزيد من التفصيل انظر: شرح الطحاوية (٢/٣٧٥).

[٥] سورة ص الآية: ٧٥ .

[٦] سورة الزمر الآية: ٦٧ .

[٧] العواصم ص٢٢٠ .

[٨] وللمزيد يرجع إلى رسالة الأخ سعد العريفي في منهج وآراء ابن العربي في الإلهيات.

والعمل[1]، فهو يرى أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ ﴾[2].

ويرى أن الإيمان يزيد وينقص[3]، إلى غير ذلك من الأقوال التي وافق فيها أهل السنة والجماعة، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

---

[1] انظر: عارضة الأحوذي (١٠/٧٧) و(١١/١١).

[2] سورة البقرة الآية: ١٤٣ .

[3] عارضة الأحوذي (١٠/٨٤).

الباب الأول

الإيمان

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول : مسائل الإيمان.

الفصل الثاني : ذكر بعض ما يضاد الإيمان.

الفصل الثالث : الكبائر والصغائر.

الفصل الأول

مسائل الإيمان

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الإيمان.

المبحث الثاني : العلاقة بين الإيمان والإسلام.

المبحث الثالث : دخول الأعمال في مسمى الإيمان.

المبحث الرابع : زيادة الإيمان ونقصانه.

تمهيد:

مسألة الإيمان من المسائل المهمة، لأنها تتعلق بأصول الدين، لما يترتب عليها من إسلام وكفر، ودخول الجنة أو النار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] ــ رحمه الله ــ: « واسم الإيمان قد تكرر ذكره في القرآن والحديث أكثر من سائر الألفاظ، وهو أصل الدين وبه يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويفرق بين السعداء والأشقياء ومن يوالي ومن يعادي، والدين كله تابع لهذا، وكل مسلم محتاج إلى معرفة ذلك »[2].

وذكر ــ رحمه الله ــ أنه من أول المسائل التي وقع فيها الاختلاف، والنزاع في ذلك من حين خرجت الخوارج بين عامة الطوائف[3]، وهو أول اختلاف وقع وافترقت الأمة لأجله، وصاروا مختلفين في الكتاب والسنة، وكفر بعضهم بعضاً[4].

وهي من المسائل التي وقع الاختلاف فيها بين أهل السنة ومخالفيهم، وقد استحل الخوارج بهذا الخلاف دماء المسلمين، وخلد الخوارج والمعتزلة أهل الكبائر في النار بهذا الخلاف، والمرجئة جعلوا أهل الكبائر والفسق والمعاصي إيمانهم كإيمان جبرائيل وميكائيل.

وسأتكلم في هذا الفصل عن تعريف الإيمان والعلاقة بين الإيمان والإسلام، ودخول الأعمال في مسمى الإيمان، وزيادة الإيمان ونقصانه، عند ابن العربي.

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية أشهر من أن يعرف به، هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، أبو العباس ابن تيمية الدمشقي، العالم العابد، إمام أهل السنة في زمانه، والذي ما رئي مثله علما وورعا، ولد سنة ٦٦١هـ بحران، وتوفي سنة ٧٢٨هـ. انظر الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية تأليف البزار ت/زهير الشاويش ص١٦، والبداية والنهاية (١١٧/١٤) وما بعدها.

(٢) الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٤٤ ، المكتب الإسلامي.

(٣) انظر الإيمان ص٣ .

(٤) انظر المرجع السابق ص١٥١ .

المبحث الأول
تعريف الإيمان

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : تعريف الإيمان لغة.

المطلب الثاني : الإيمان في الشرع عند ابن العربي.

المطلب الأول: تعريف الإيمان لغة.

عرف الإمام أبو بكر ابن العربي الإيمان لغة بأنه: التصديق أو التأمين، فقال: « والكفر والإيمان في وضع اللغة معلومان، والإيمان هو التصديق لغة أو التأمين »[١].

وقال في موضع آخر: « ومن قال: إنه [أي: الإيمان] التصديق، فقد وافق مطلق اللغة، لكنه قد يكون بمعنى التصديق، وقد يكون بمعنى الأمان »[٢].

واستشهد بأن الإيمان هو طلب الأمان بقول النابغة:

« والمؤمن العائذات الطير يمسحها   ركبان مكة بين الغيل والسعد »[٣].

انتهى كلامه رحمه الله.

قال ابن منظور: « الإيمان مصدر آمن يؤمن إيمانا فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان بمعنى التصديق، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾[٥]، والإيمان ضد الكفر[٦].

قال الراغب الأصبهاني: « وآمن إنما يقال على وجهين، أحدهما: متعديا بنفسه، يقال: أمنته، أي: جعلت له الأمن، ومنه قيل: لله مؤمن، والثاني: غير متعد، ومعناه: صار ذا أمن »[٧].

---

[١] أحكام القرآن (٢/٤٧٤).

[٢] المرجع السابق (٢/٥٠٦).

[٣] المرجع السابق (٢/٥٠٦).

[٤] سورة يوسف الآية: ١٧ .

[٥] سورة الحجرات الآية: ١٤ .

[٦] لسان العرب لابن منظور (١/٢٢٤)، مادة (أمن)، وانظر: تاج العروس (١٨/٢٤)، مادة (أمن).

[٧] مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصبهاني (١/٣٢-٣٣)، مادة (أمن).

وقال ابن فارس: « قال الخليل: الأمنة من الأمن، والأمان إعطاء الأمنة، ثم قال: وأما التصديق في قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ... ﴾ [١] أي مصدق لنا، وقال بعض أهل اللغة: إن المؤمن في صفات الله تعالى هو أن يصدق ما وعد عبده من الثواب، وقال آخرون: هو مؤمن لأوليائه، يؤمنهم عذابه ولا يظلمهم » [٢].

فبهذا يتبين لنا أن الإيمان يأتي لغة بمعنى التصديق والتأمين، كما قال ابن العربي ــ رحمه الله ــ.

---

[١] سورة يوسف الآية: ١٧ .

[٢] معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/١٣٣-١٣٤)، مادة (أمن).

المطلب الثاني: الإيمان في الشرع عند ابن العربي

قال الإمام أبو بكر ابن العربي بقول أهل السنة بأن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، ولم يسلك مسلك جمهور الأشاعرة، في ذلك وهو أن الإيمان هو التصديق والإقرار[١]، بل نقدهم على ذلك بأن قال: « وهذا باب عظيم، وأول من غفل عنه شيخنا أبو الحسن، وتابعه عليه أبو بكر الجويني »[٢]، وقال ـ رحمه الله ـ: « ومن العجب قول علمائنا الأصوليين إن الإيمان هو التصديق بالقلب خاصة أو العلم بالله، وإن أفعال الشريعة إنما تسمى إيمانا مجازا، وقد خفي عليهم من العربية والشريعة ما كان حقه أن لا يخفى، والإيمان هو طلب الأمان، والمرء يطلب الأمان باعتقاده وقوله وفعله، وكذلك أمره أن يطلبه بهذا كله، ووعده العزيز الحكيم بذلك فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ﴾[٣].

وفي الحديث الصحيح حديث وفد عبد القيس: « أتدرون ما الإيمان؟ فقال: " شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا خمسا من المغنم"[٤] »[٥].

---

[١] شرح المقاصد للتفتزاني (١٧٦/٥).

[٢] عارضة الأحوذي (٦٨/١٠).

[٣] سورة الأنفال الآيات: ٤،٣،٢ .

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، حديث رقم ٥٣ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله...، حديث رقم ١٧ ، واللفظ لمسلم.

[٥] عارضة الأحوذي (١١/١١).

ولما ذكر ابن العربي اختلاف الناس في الإيمان، وذكر أن منهم من يقول بأنه المعرفة، وأن منهم من يقول بأنه التصديق، وأن منهم من يقول بأنه الاعتقاد والقول والعمل قال: « فمن قال إنه المعرفة، فقد خالف اللغة وتجوز ظاهرها إلى وجه من التأويل فيها، ومن قال إنه التصديق، فقد وافق مطلق اللغة، وأما من قال إنه الاعتقاد والقول والعمل، فقد جمع الأقوال كلها، وركب تحت اللفظ مختلفات كثيرة، و لم يبعد من طريق التحقيق في جهة الأصول ولا في جهة اللغة، أما من جهة اللغة فلأن الفعل يصدق القول أو يكذبه، قال النبي ﷺ: " العينان تزنيان وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما البطش، والرجلان تزنيان وزناهما المشي، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه "[١].

فإذا علم أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فليتكلم بمقتضى علمه، وإذا تكلم بما علم فليعمل بمقتضى علمه، فيطرد الفعل والقول والعلم فيقع إيمانا لغويا شرعيا، أما لغة فلأن العرب تجعل الفعل تصديقا، قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[٢] وصدق الوعد اتصال الفعل بالقول.

فإن قيل هذا مجاز قلنا هذه حقيقة، وعلى هذا المعنى جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ ﴾[٣]، وعلى هذه جاء قوله ﷺ: " من ترك الصلاة فقد كفر "[٤] » ا.هـ[٥].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة في كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج حديث رقم٦٢٤٣، ومسلم في صحيحه في كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره، حديث رقم ٢٦٥٧ ولفظه: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله و يكذبه».

[٢] سورة مريم الآية: ٥٤ .

[٣] سورة البقرة الآية: ١٤٣ .

[٤] رواه ابن حبان في صحيحه من حديث بريدة عن النبي ﷺ: « بكروا بالصلاة في يوم الغيم فإنه من ترك الصلاة فقد كفر » (٣٣٣/٤) حديث رقم ١٤٦٣.

[٥] أحكام القرآن (٥٠٥/٢-٥٠٦).

وقد أوضح أن الذي حمل علماء الأشاعرة أن يقولوا ذلك [أي: أن الإيمان هو التصديق ولا يدخلوا الأعمال في مسمى الإيمان] هو الفرار من أقوال المبتدعة أن الأفعال إذا كانت إيمانا كان تركها كفرا، فرد عليهم وقال: « قلنا لهم نعم، كذلك يكون، وقد نص على ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح، قال: " من ترك الصلاة فقد كفر، ومن أبق من مواليه فقد كفر "[1]، وقال في النساء: " رأيتكن أكثر أهل النار، بكفران الإحسان والعشير "[2]، وأعجب لعلمائنا وما عليهم في أن يكون الكفر على قسمين: منه ما يخلد في النار مرتكبه، ومنه ما يدركه العفو، وقد علم ذلك بالخبر، وعمومات العذاب في الكفار تكون مخصوصة بآيات الاختصاص وبأخبار الاختصاص، وأن الله لا يضيع التوحيد بالقلب والتصديق، ولا يضيع العمل بالجوارح، ولا القول باللسان، والكل إيمان وله مراتب »[3].

فبهذا تبين أن ابن العربي ــ رحمه الله ــ ذهب في تعريف الإيمان إلى قول السلف فهو اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب تسمية العبد الأبق كافرا، حديث رقم ٦٨ ، بلفظ: « أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر حتى يرجع إليهم ».

[2] أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، حديث رقم ٣٠٤ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق...، حديث رقم ٧٩ كلاهما بلفظ: « ... تكثرن اللعن وتكفرن العشير... ».

[3] عارضة الأحوذي (١١/٨٨-٨٩).

ذكر بعض مما روي عن السلف في ذلك:

ونحن هنا نذكر بعضا من أقوال السلف مما يؤيد ما ذهب إليه ابن العربي.

ذكر الحافظ في الفتح: « ... وروى بسنده الصحيح عن البخاري قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص »[١]، ونقل أيضا عن الشافعي أنه قال: « الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص »[٢].

ونقل الإجماع ابن عبد البر في التمهيد قال: « أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه، فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانا »[٣].

وكذا ذكر الإجماع شيخ الإسلام في الفتاوى فقال: « ولهذا كان القول أن الإيمان قول وعمل عند أهل السنة من شعائر السنة، وحكى غير واحد الإجماع على ذلك » ثم قال: « وقد ذكرنا عن الشافعي ﷺ ما ذكره من الإجماع على ذلك، قوله في كتاب الأم وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركنا يقولون: إن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر، وذكر ابن أبي حاتم في مناقبه: سمعت حرملة يقول: اجتمع حفص الفرد ومصلان الإباضي عند الشافعي في دار الجروي، فتناظر معه في الإيمان، فاحتج مصلان في الزيادة والنقصان وخالفه حفص الفرد، فحمى الشافعي وتقلد المسألة على أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص،

---

(١) فتح الباري (١/٤٧).

(٢) المرجع السابق (١/٤٧).

(٣) التمهيد لابن عبد البر (٩/٢٣٨).

فطحن حفصا الفرد وقطعه »[1]، وكذا ذكر الإجماع اللالكائي[2] في شرح أصـــول اعتقاد أهل السنة[3].

ونكتفي بهذا القدر في هذه المسألة، أما الأدلة فســـنوردها في مبحـــث دخـــول الأعمال في مسمى الإيمان.

---

[1] مجموع الفتاوى شيخ الإسلام (٣٠٨/٧).

[2] هو أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي الطبري اللالكائي، شافعي المذهب، الإمام الحـــافظ المجـــود، اعتـــنى بالحديث وصنف فيه، توفي سنة ٤١٨هـــ، انظر السير جـــ١٨/٤١٩ .

[3] شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨٣٢/٤).

المبحث الثاني

العلاقة بين الإيمان والإسلام

يرى الإمام أبو بكر ابن العربي أن معنى الإيمان والإسلام واحد، وكل واحد من اللفظين يستعمل بمعنى الآخر، وأنه لا فرق بينهما، ولكن وضعا للفرق بين من يظهر ما يعتقد وبين من يبطن خلاف ما يظهر، فقال ـ رحمه الله ـ: « إن معنى الإيمان والإسلام واحد، لأن "أسلم" معناه طلب السلام و"آمن" معناه طلب الأمان، والمعنى واحد بيد أن الله سبحانه قال: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[1] فإنه هنا مظهر انقياد على ما ليس حقيقته، ولذلك لما قالوا آمنا قيل لهم لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا، أي: أظهرنا انقيادا ليس صادرا عن يقين »[2].

وقال في موضع آخر: « وسمى له [أي جبريل] الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله[3]، وقد سماها إيمانا في حديث آخر، وقد سمى أركان الشريعة إيمانا في حديث وفد عبد القيس الشهادة والصلاة والزكاة، وهذا يدل على أنهما شيء واحد في الأصل، وقد ينفصلان بالعرف لقول سعد للنبي ﷺ: " إني لأراه مؤمنا، فقال: أو مسلما "[4]، كقوله: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ وليس ذلك لتغايرهما، ولكن وضع للفرق بين من يظهر ما يعتقد، وبين ما يبطن خلاف ما يظهر »[5].

---

(١) سورة الحجرات الآية: ١٤.

(٢) العارضة (٨٤/١٠)، وهذا القول ضعفه ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية، ورجح أنهم ليسوا بمؤمنين كاملي الإيمان لا أنهم منافقون، كما نفى الإيمان عن القاتل، والزاني، والسارق، ويؤيد هذا سياق الآية فإنها من أولها إلى هنا في النهي عن المعاصي وأحكام بعض العصاة... انظر شرح الطحاوية (٢/٤٩٠-٤٩١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإحسان وعلم الساعة، حديث رقم ٥٠ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله، حديث رقم ٥ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة...، حديث رقم ٢٧ ، وكذا في الزكاة حديث رقم ١٤٧٨ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه...، حديث رقم ١٥٠ .

(٥) عارضة الأحوذي (٧٧/١٠).

فمن هذا يتبين أن الإمام أبا بكر لا يرى أن هناك فرق بين الإسلام والإيمان.

وهذا القول هو أحد أقوال السلف ــ رحمهم الله ــ قد قال به الإمام البخاري وبوب في صحيحه باب الإيمان وقول النبي ﷺ: « بني الإسلام على خمس »[١].

وقال ابن منده[٢] ــ رحمه الله ــ في كتاب الإيمان: « والبيان الواضح من الكتاب إن الإيمان والإسلام بمعنى واحد »[٣].

والقول الراجح في المسألة ــ والله أعلم ــ أن الإسلام والإيمان في حال افتراقهما يكون معناهما واحدا، وفي حال اجتماعهما يكون بينهما فرق، فيكون الإيمان لما في القلب من التصديق وغيره، والإسلام لما هو ظاهر من الأعمال، ومن أدلة القول حديث جبريل لما سئل عن الإسلام أجاب بأنها: « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وأجاب عن الإيمان بأن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره »، حيث فرق بينهما ﷺ وأجاب لكل منهما بجواب مختلف.

قال شيخ الإسلام: « فليس لنا إذا جمعنا بين الإسلام والإيمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي ﷺ، وأما إذا أفرد اسم الإيمان فإنه يتضمن الإسلام وإذا أفرد الإسلام فقد يكون مع الإسلام مؤمنا بلا نزاع، وهذا هو الواجب »[٤].

قال في شرح الطحاوية: « وأن حالة اقتران الإسلام بالإيمان غير حالة إفراد أحدهما عن الآخر، فمثل الإسلام من الإيمان كمثل الشهادتين أحدهما من الأخرى،

---

[١] البخاري في صحيحه (١/٦) الإيمان.

[٢] ابن منده: هو الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحي بن منده الأصبهاني، له كتاب التوحيد والإيمان، من بيت علم ورواية، ولد سنة ٣١٠هـ ــ وتوفي سنة ٣٩٥هـ ــ رحمه الله ــ. انظر السير ٢٨/١٧ ترجمة رقم ١٣ .

[٣] الإيمان لابن منده (٣٢١/١).

[٤] الإيمان لشيخ الإسلام ص٢٤٦ .

فشهادة الرسول غير شهادة الوحدانية، فهما شيئان في الأعيـــان، وأحداهمـــا مرتبطـــة بالأخرى في المعنى، والحكم كشيء واحد، كذلك الإسلام والإيمان، لا إيمـــان لمـــن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له، إذا لا يخلو المؤمن من إسلام به يتحقق إيمانــــه، ولا يخلو المسلم من إيمان به يصح إسلامه...

ونظائر ذلك في كلام الله ورسوله وفي كلام الناس كثـــير، أعـــني: في الإفـــراد والاقتران، منها لفظ الكفر والنفاق، والكفـــر إذا ذكـــر مفـــردا في وعيـــد الآخـــرة دخل فيه المنـــافقون، كقولـــه: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[1]، وإذا قرن بينهما كان الكافر من أظهر كفره والمنافق من آمن بلسانه و لم يؤمن قلبه، وكذلك لفظ البر والتقوى، ولفظ الإثم والعدوان، ويشهد للفرق بين الإسلام والإيمان في حال اقترانهما قوله تعـــالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾[2]، وقـــال تعـــالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾[3]، وقوله ﷺ: " اللهم لك أسلمت وبك آمنت "[4] كان المراد من أحدهما غير المراد مـــن الآخر، وإذا انفرد أحدهما شمل معنى الآخر وحكمه »[5] ا.هـ ملخصا.

مما سبق يتبين لنا أن الإسلام والإيمان بمعـــنى واحـــد ولا فـــرق بينـــهما، إلا إذا اقترن ذكرهما جميعا، فإن الإيمان يدل على ما في القلب، والإسلام يدل علـــى الأعمال الظاهرة.

---

[1] سورة المائدة الآية: ٥ .

[2] سورة الحجرات الآية: ١٤ .

[3] سورة الأحزاب الآية: ٣٥ .

[4] أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب قـــول الله تعـــالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾...، حديث رقم ٧٤٩٩ ، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة النبي ﷺ ودعائه من الليل، حديث رقم ٧٦٩ .

[5] شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٩١-٤٩٢).

المبحث الثالث

دخول الأعمال في مسمى الإيمان

سبق في مبحث "حقيقة الإيمان" أن الإمام أبا بكر ابن العربي يوافق أهل السنة والجماعة أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، فهو يرى أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان.

قال ــ رحمه الله ــ: « روى عكرمة عن ابن عباس قال: " لما وجه النبي إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس قبل أن تصرف القبلة إلى الكعبة، فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ أي: صلاتكم "[1]، وفي رواية أشهب قال مالك: " إني لأذكر بهذه الآية قول المرجئة: إن الصلاة ليست من الإيمان، وقد سماها الله إيمانا " ».

ثم قال ابن العربي ــ رحمه الله ــ فيما سبق نقله عنه: « ومن العجب الذي بيناه قول علمائنا الأصوليين أن الإيمان هو التصديق بالقلب خاصة أو العلم بالله، وأن أفعال الشريعة تسمى إيمانا مجازا، وقد خفي عليهم من العربية والشريعة ما كان حقه أن لا يخفى، والإيمان هو طلب الأمان، والمرء يطلب الأمان باعتقاده وقوله وفعله، وكذلك أمره أن يطلبه بهذا كله، ووعده العزيز الحكيم بذلك فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [2].

وفي الحديث الصحيح: " أتدرون ما الإيمان بالله؟ ثم بينه فقال: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة " الحديث إلى آخره "[3].

---

[1] أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، حديث رقم ٢٩٦٤ ، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود في كتاب السنة، حديث رقم ٤٦٨٠ .

[2] سورة الأنفال الآيات: ٢ ، ٣ ، ٤ .

[3] عارضة الأحوذي (١١/١١).

وقال: إن علماءنا الأصوليين [في مسألة الصلاة هل هي من الإيمان] أنه يرجع ذلك إلى اعتقاد وجوب الصلاة أو اعتقاد نفي وجوبها، وهذا لا يحتاج إليه، بل يقول علماؤنا من الفقهاء أنها تسمى إيمانا وهي من أركان الإيمان وعهد الإسلام، ولكن الفرق بين علماء الأصول والمرجئة أن المرجئة قالت: ليست من الإيمان وتاركها في الجنة، وهؤلاء قالوا ليست من الإيمان وتاركها في المشيئة، وعلماؤننا الفقهاء قالوا هي من الإيمان وتاركها في المشيئة، قضت بذلك آي القرآن وأحاديث النبي ﷺ »[1].

وقال أيضا: « وقد سمى أركان الشريعة إيمانا[2] في حديث وفد عبد القيس الشهادة والصلاة والزكاة، وقد سألهم عن الإيمان فقال ﷺ: " الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم فسمى ذلك كله إيمانا "[3] ».

فبهذا تبين مما سبق أن الإمام أبا بكر ابن العربي يرى أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان وهذا قول أهل السنة والجماعة، وقد ذكرت طرفا من أقوالهم في تعريف حقيقة الإيمان، ومن الأدلة أيضا التي تؤيد قول الإمام أبي بكر أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان:

١- قوله ﷺ: « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا »[4].

٢- وقال ﷺ: « البذاذة من الإيمان »[5].

---

[1] أحكام القرآن (٦٢/١-٦٣).

[2] عارضة الأحوذي (٧٧/١٠).

[3] سبق تخريجه ص .

[4] أخرجه الترمذي في كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، حديث رقم ١١٦٢ ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود في كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم ٤٦٨٢ .

[5] أخرجه أبو داود في كتاب الترجل، باب النهي عن كثير من الإرفاه، حديث رقم ٤١٦١ ، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب من لا يؤبه له، حديث رقم ٤١١٨ ، والحاكم في المستدرك (٨/١) من حديث أبي أمامة، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

٣- وقال صلاة الله عليه وسلامه: « الإيمان بضع وسبعون بابا، فأدناه إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله »[1].

وهناك أدلة أخرى غير ما ذكر هنا نكتفي بهذا.

---

[1] أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب استكمال الإيمان والزيادة والنقصان، حديث رقم ٢٦١٤ ، وابن ماجه في سننه في المقدمة باب في الإيمان حديث رقم ٥٧ .

المبحث الرابع

زيادة الإيمان ونقصانه

إن القول بزيادة الإيمان ونقصانه مترتب على مسألة حقيقية، ولما كان قول ابن العربي في تلك المسائل موافقا لقول أهل السنة فيها، فإن قوله في مسألة زيادة ونقصانه جاء موافقا لقول أهل السنة فيه.

قال ــ رحمه الله ــ في تحقيقه هذه المسألة: « وتحقيق القول في ذلك أن العلم يزيد وينقص وكذلك العمل، والكل تاج[1] واحد، وحقيقة واحدة، لا يختلف ولا يخرج واحد منها عنه، وإن كانت كلها أعراضا كما بينا »[2].

ثم أخذ يبين المسألة ويدلل لها بالعقل، ويقول: « وذلك لأن الشيء لا يزيد بذاته ولا ينقص بها، إنما له وجود أول، فلذلك الوجود أصل، ثم إذا انضاف إليه وجود مثله وأمثاله كان ذلك زيادة فيه، وإن عدمت تلك الزيادة فهو النقص، وإن عدم الوجود الأول الذي يتركب عليه المثل لم يكن زيادة ولا نقصان، وقدر ذلك في العلم أو في الحركة، فإن الله سبحانه إذا خلق علما فردا وخلق مثله أو أمثاله بمعلومات مقدرة فقد زاد علمه، فإن أعدم الله الأمثال فقد نقص، أي: زالت الزيادة.

وكذلك لو خلق حركة وخلق معها مثلها أو أمثالها، فإذا خلق الله للعبد العلم به من وجه، وخلق له التصديق به بالقول النفسي أو الظاهر، وخلق له الهدى للعمل به، ثم خلق له مثل ذلك وأمثاله فقد زاد بهما إيمانه، وبهذا المعنى على أحد الأقوال فضل الأنبياء على الخلق، فإنهم علموه تعالى من وجوه أكثر من الوجوه التي علمه الخلق بها، فمن عذيري ممن يقول إن الأعمال تزيد وتنقص، ولا تزيد المعرفة ولا تنقص، لأنها عرض، ولا يعلم أن الأعمال أعراض، والحالة فيها واحدة »[3].

---

[1] كذا في الأصل ولعلها: "باب واحد".

[2] أحكام القرآن (٢/٥٠٧).

[3] أحكام القرآن (٢-٥٠٧-٥٠٨ .

وقال أيضا في موضع آخر مؤيدا كلامه السابق: « وظن جملة من الأصحاب أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص لأنه عرض، وذهبوا إلى أن الإعراض لا تدخلها الزيادة والنقصان كما تدخل الأجسام، ولذلك صار عرض أكثر من عرض، وسواد أكثر من سواد، فإذا قدرت حركة أو سوادا أو علما على أقل مراتب وجوده ثم قدرت إضافة مثله وأمثاله إليه فهو زيادة على ذلك الأصل المقدر، فإذا قدرت حذف ما زاد، فقد زاد بما انضاف إليه، ونقص بما عدم منه، ولو قدرت زوال ذلك الأصل لكان عدما، وهذا صحيح في كل عرض وجسم »[1].

---

[1] عارضة الأحوذي (١٠/٨٤).

استدلال ابن العربي على الزيادة والنقص بالقرآن والسنة:

استدل الإمام أبو بكر على ذلك بأدلة الكتاب، فقد قال ـ رحمه الله ـ: « وقد صرح الله بزيادة الإيمان في مواضع من كتابه: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَـٰنًا ﴾[1]، ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ﴾[2]، وقال: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾[3]، وقال في جهة الكفار: ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾، فأطلق الزيادة في الوجهين »[4].

وقال أيضا في موضع آخر: « ومن كمال المؤمنين ما روى أبو قلابه [عبد الله بن زيد الجرمي] عن عائشة أن النبي ﷺ قال: « إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله »[5] حديث حسن، فإن المؤمن الحسن الخلق كامل الإيمان[6].

ذكر بعض الأدلة من القرآن والسنة وأقوال السلف على زيادة الإيمان ونقصانه:

▫ **أما الأدلة من القرآن:**

فقد ذكر الإمام أبو بكر بعض الأدلة، وقد سبق أن نقلتها عنه ـ رحمه الله ـ، وأضيف إليها بعض الأدلة تأييدا لقول ابن العربي، قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[7]،

---

[1] سورة المدثر الآية: ٣١ .

[2] سورة مريم الآية: ٧٦ .

[3] سورة التوبة الآية: ١٢٤ .

[4] أحكام القرآن (٢/٥٠٨).

[5] أخرجه بهذا اللفظ الترمذي في كتاب الإيمان، باب في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان، حديث رقم ٢٦١٢ ، وأحمد (٦/٤٧)، كلاهما من حديث عائشة.

[6] عارضة الأحوذي في شرح الترمذي (١٠/٨٤-٨٥).

[7] سورة الأنفال الآية: ٢ .

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[٣].

فهذه الآيات مع ما ذكره الإمام أبو بكر صريحة على أن الإيمان يزيد وينقص.

▫ **أما الأدلة من السنة فأذكر منها:**

الحديث الذي رواه مسلم: « يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، وما رأيت ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن، قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين »[٤].

قال الإمام أبو بكر: « قوله "ناقصات عقل ودين" قد بينا أن العقل والعلم والإيمان والكفر يزيد وينقص، وكل مخلوق ما عدا الله يزيد وينقص، وبنقصان العقل تنقص شهادتهما، وبنقصان دينهما نقصت عبادتها بالحيض، فإن قيل: ليس ذلك من فعلها، فكيف تعاب به[٥]... ».

---

[١] سورة محمد الآية: ١٧ .

[٢] سورة الكهف الآية: ١٣ .

[٣] سورة الفتح الآية: ٤ .

[٤] رواه البخاري في كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، حديث رقم ٣٠٤ ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ...، حديث رقم ٧٩ ، واللفظ لمسلم.

[٥] بياض في الأصل، قال المعلق على عارضة الأحوذي: ولعله والجواب على ذلك من مسألتين (من وجهين).

ثم قال أبو بكر: « **إحداهما**: أن الحيض فيما يروون كان بذنب فبهذا السبب عيبت به[١]، **والثاني**: أن الباري تعالى نقصها وعابها بما نقصها، فكان ذلك له، و لم يأذن فيه لأحد سواه »[٢].

وحديث: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »[٣].

وقال ابن أبي العز: « والمراد نقص الكمال »[٤].

وحديث الشفاعة أنه « يخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان »[٥].

وقد بوب البخاري ـ عليه رحمة الله ـ باب زيادة الإيمان ونقصانه.

وحديث: « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان »[٦].

---

(١) وهذا عندي فيه نظر، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الزمر الآية:٧].

(٢) عارضة الأحوذي (١٠/٩٣-٩٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ، حديث رقم ١٥ من حديث أنس، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ، حديث رقم ٤٤ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٨١).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم ٤٤ من حديث أنس، ولفظه: « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير، قال أبو عبد الله: قال أبان حدثنا قتادة حدثنا أنس عن النبي ﷺ: "من إيمان" مكان "من خير".

واللفظ الذي ذكره المؤلف هو جزء من حديث أنس عند البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب يوم القيامة مع الأنبياء، حديث رقم ٧٥١٠ .

وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، حديث رقم ١٩٣ .

(٦) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان... من حديث أبي سعيد، حديث رقم ٤٩ .

فبين ﷺ أن هذا هو أضعف الإيمان وأقله، فدل ذلك على أنه يزيد وينقص.

وحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: « لا يزني الزاني حيث يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حيث يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع المؤمنون إليه فيها أبصارهم وهو حين ينتهبها مؤمن »[1].

قال أبو جعفر محمد بن علي[2] ـ رحمه الله ـ: « هذا الإيمان ودور دائرة في وسطها أخرى، وهذا الإيمان للتي في وسطها مقصور في الإسلام، ثم قال: يخرج من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرج من الإسلام، فإذا تاب تاب الله عليه، ويرجع إلى الإيمان »[3].

قال ابن بطه: « وهذا القول من أبي جعفر من أوضح الأدلة وأفصحها على زيادة الإيمان ونقصانه، وذلك أن الإيمان يزيد بالطاعات فيحصنه الإيمان، وينقص بالمعاصي فيحرق الإيمان، ويكون غير خارج عن الإسلام »[4].

فهذه الأحاديث تدل على زيادة الإيمان ونقصانه، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، وهو ما ذهب إليه السلف، وكذلك الإمام أبو بكر ـ رحمه الله ـ.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة، في كتاب المظالم، باب النهى بغير إذن صاحبه، حديث رقم ٢٤٧٥ ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، حديث رقم ٥٧ .

[2] هو أبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان من فقهاء التابعين، ولد سنة ٥٦هـ، وتوفي سنة ١١٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٠١/٤-٤٠٩).

[3] الإبانة للعكبري (٨٥٤/٢).

[4] المرجع السابق (٨٥٤/٢).

أقوال السلف في زيادة الإيمان ونقصانه:

كان عمر ﷺ يقول لأصحابه: « هلموا نزدد إيمانا، فيذكرون الله ﷻ »[١].

وكان ابن مسعود يقول في دعائه: « اللهم زدنا إيمانا ويقينا وفقها »[٢].

قال أبو الدرداء ﷺ: « من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص »[٣].

وعن عبد الله بن عباس وأبي هريرة ــ رضي الله عنهما ــ قالا: « الإيمان يزيد وينقص »[٤].

وقال نمير بن حبيب ﷺ: « الإيمان يزيد وينقص، قيل: وما زيادته؟ قال: إذا ذكرنا الله فحمدناه وسبحانه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا فذلك نقصانه »[٥].

وقال عروة بن الزبير ــ رحمه الله ــ: « ما نقصت أمانة عبد إلا نقص إيمانه »[٦].

وقال سفيان الثوري ــ رحمه الله ــ: « الإيمان يزيد وينقص »[٧].

وقيل لسفيان بن عيينة ــ رحمه الله ــ: « الإيمان يزيد وينقص، قال: أليس تقرؤون: ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ [٨]،﴿ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴾ [٩] في غير موضع قيل فينقص؟

---

[١] ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦/١١).

[٢] الهيثمي (١٨٥/١٠) وقال إسناده جيد.

[٣] شرح الطحاوية (٤٨١/٢).

[٤] الشريعة للآجري (ص١١١).

[٥] شرح أصول أهل السنة للالكائي (٩٤٩/٥).

[٦] المرجع السابق (٩٥٢/٥).

[٧] المرجع السابق (٩٥٨/٥).

[٨] سورة آل عمران الآية: ١٧٣ .

[٩] سورة الكهف الآية: ١٣ .

قال: ليس شيء يزيد إلا وهو ينقص »[1].

وقال الإمام أحمد ـــ رحمه الله ـــ: « سمعت وكيعا ـــ رحمه الله ـــ يقول: الإيمان يزيد وينقص، وكذا كان سفيان يقول »[2].

وقال المروذي: « سمعت أحمد بن حنبل سئل عن الإيمان، فقال: قول وعمل يزيد وينقص، قال الله ﷻ: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[3]، قال الله ﷻ: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾[4]، ثم قال: هذا من الإيمان، وسمعته يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وقال الزيادة من العمل وذكر النقصان إذا زنا وسرق »[5].

وقال الإمام الشافعي ـــ رحمه الله ـــ: « الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص »[6].

فهذه الآثار تدل على أن اعتقاد الصحابة وسلف الأمة ﷺ أن الإيمان يزيد وينقص، وهم خير من فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعمل بها، فهم قدوتنا في الاعتقاد والعمل بعد رسول الله ﷺ، وهذا هو ما ذهب إليه الإمام أبو بكر ابن العربي ـــ رحمه الله ـــ في زيادة الإيمان ونقصانه كما تقدم.

---

(١) الشريعة للآجري (ص١١٧).

(٢) الإبانة (٢/٨٥٠).

(٣) سورة البقرة الآية: ٤٣ .

(٤) سورة التوبة الآية: ١١ .

(٥) الإبانة لابن بطة (٢/٨٥١).

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٥/٩٦٢).

الفصل الثاني

ذكر بعض ما يضاد الإيمان

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الكفر وأنواعه.

المبحث الثاني : الشرك وأنواعه.

المبحث الثالث : النفاق وأقسامه.

المبحث الأول

الكفر وأنواعه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : تعريف الكفر لغة وشرعاً.

المطلب الثاني : أنواع الكفر عند أبي بكر ابن العربي.

المطلب الأول: تعريف الكفر لغةً وشرعاً

تعريف الكفر لغةً:

أصل الكفر تغطية الشيء، وسمى الفلاح كافراً لتغطيته الحب، وسمي الليل كـــافراً لتغطيته كل شيء.

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾[1]، وقال لبيد بن ربيعة:

« حتى إذا ألقت يداً في كافر   يريد: الليل، لأنه يغطي كل شيء ».

والكفر جحود النعمة، وهو نقيض الشكر، وكفّره بالتشديد نسبة إلى الكفر، أو قال لــه كفرت بالله، وأكفره إكفاراً حكم بكفره[2].

تعريف الكفر شرعاً:

تعريف الكفر عند الإمام أبي بكر ابن العربي: « الكفر والإيمان أصلان في ترتيـــب الأحكام عليهما في الدين.

والكفر هو الستر، وقد يكون بالفعل حساً، وقد يكون بالإنكار والجحد معناً »[3].

وقال في موضع آخر: « وأن حقيقة الكفر راجع إلى الإنكار، فمن أنكر شيئاً من الشريعة فهو كافر، ولأنه مكذب الله ورسوله »[4].

وقال في موضع آخر عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾[5]: « في هـــذا دليل على أن الكفر يكون بكل ما يناقض التصديق والمعرفة »[6].

---

[1] سورة الحديد الآية: ٢٠ .

[2] لسان العرب (١١٨/١٢) مادة: (كفر).

[3] أحكام القرآن لابن عربي (٤٧٤/٢).

[4] المرجع السابق (٥٠٥/٢).

[5] سورة التوبة الآية: ٧٤ .

[6] المرجع السابق (٥٤٥/٢).

قال الإمام ابن حزم: « الكفر في الدين: صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به، بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه، بقلبه دون لسانه أو بلسانه دون قلبه، أو بهما معاً، أو عمل عملاً جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان »[1].

ويقول السبكي ـــ رحمه الله ـــ: « التكفير حكم شرعي سببه جحد الربوبية أو الوحدانية أو الرسالة، أو قول أو فعل حكم الشارع بأنه كفر وإن لم يكن جاحداً »[2].

وبهذه التعاريف للكفر يتبين أن الكفر قد يكون في الاعتقاد أو الأقوال، أو أفعال حكم الشارع بأنها مخرجه عن الإسلام.

فبهذا يتبين لنا مما سبق أن الإمام أبا بكر يرى أن أصل الكفر يرجع الإنكار، فمن أنكر شيئا من الشريعة فقد كفر، وأنه يكون بكل ما يناقض التصديق والمعرفة، وأيضا يكون بالفعل.

---

(1) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١/٤٥).

(2) فتاوى السبكي (٢/٥٨٦).

المطلب الثاني: أنواع الكفر عند أبي بكر بن العربي.

يرى الإمام أبو بكر ابن العربي أنه ليس كل ما أطلق عليه الشارع كفراً يكون كفراً مخرج من الملة، وإنما يكون منه ما يخرج من الملة، ومنه ما لا يخرج من الملة.

فقد قال ــ رحمه الله ــ: « فالشرع لم يعلق الأحكام الشرعية على كل ما يطلق عليه اسم الكفر، وإنما علق على بعضها »[١].

فما أطلق عليه اسم الكفر ليس من اللازم أن يكون كفراً أكبر.

قال في رده على علمائه الأشاعرة في قولهم عدم دخول الأعمال في مسمى الإيمان، فراراً من قول المبتدعة مثل الخوارج أن الأفعال إذا كانت إيماناً كان تركها كفراً، مثل من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر[٢]، ومن أبق من مواليه فقد كفر[٣].

قال ــ رحمه الله ــ: « الكفر على قسمين: منه ما يخلد في النار مرتكبه، ومنه ما يدركه العفو، وقد علم ذلك بالخبر وعمومات العذاب في الكفار تكون مخصوصة بآيات الاختصاص، وبأخبار الاختصاص وأن الله لا يضيع التوحيد في القلب والتصديق ولا يضيع العمل بالجوارح ولا القول باللسان، والكل إيمان وله مراتب »[٤].

فالإمام أبو بكر يرى كغيره من العلماء أن الكفر على قسمين: قسم يخرج من الملة وهو الكفر الأكبر، وقسم لا يخرج من الملة وهو كفر أصغر.

والكفر الأكبر: لم يقسمه ــ رحمه الله ــ وإنما ذكر بعض صوره وقد قسمه العلماء إلى خمسة أقسام وبعضهم إلى ستة أنواع:

---

[١] أحكام القرآن (٢/٤٧٤).

[٢] سبق تخريجه.

[٣] سبق تخريجه.

[٤] عارضه الأحوذي (١١/٨٨-٨٩).

١- كفر الإنكار:

وهو أن ينكر بقلبه ولسانه، بأن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[1].

قال أبو بكر: « فكل من أنكر وجود الله فهو كافر »[2].

٢- كفر الجحود:

وهو أن يعرف الله بقلبه، ولا يقرّ ولا يعترف بلسانه، فهو كفر جاحد، مثل كفر اليهود، حيث جحدوا نبوة محمد ﷺ، وكتموا أمره ووجود صفته في كتبهم، فقال الله تعالى عنهم: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[4].

قال ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ: « وكفر الجحود نوعان: كفر مطلق عام، وكفر مقيّد خاص.

فالمطلق: أن يجحد جملة ما أنزله الله، وإرساله الرسول.

والخاص المقيد: أن يجحد فرضاً من فروض الإسلام، أو تحريم محرَّم من محرماته، أو صفة وصف الله بها نفسه، أو خبراً خبر الله به، عمداً أو تقديماً لقول من خالفه عليه لغرض من الأغراض.

وأما جحد ذلك جهلاً، أو تأويلاً يعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح، ومع هذا فقد غفر الله

---

[1] سورة البقرة الآية: ٦ .

[2] أحكام القرآن (٢/٤٧٤).

[3] سورة البقرة الآية: ٨٩ .

[4] سورة البقرة الآية: ١٥٩ .

له، ورحمه لجهله، إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه، و لم يجحد قدرة الله على إعادته عناداً أو تكذيباً »[١].

ومن هذا النوع كفر الجحود، ذكره الإمام أبو بكر بن العربي بقوله: « فالشرع لم يعلق الأحكام الشرعية على كل ما ينطلق عليه اسم الكفر، وإنما علق على بعضها، وهي كفر بالله وصفاته وأفعاله فقوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [٢] نص في الكفر بذاته يقيناً، وفي الكفر بالصفات ظاهراً، ﴿وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ نص في صفاته، فإن اليوم الآخر عرفناه بقدرته وبكلامه، فأما علمنا له بقدرته فإن القدرة على اليوم الأول دليل على القدرة على اليوم الآخر، وأما علمنا له بالكلام فبإخباره أنه فاعله، فإذا أنكر أحد البعث فقد أنكر القدرة والكلام، وكفر قطعاً بغير كلام »[٣].

فإن من جحد أسماء الله وصفاته كالجهمية القائلين أنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع، والبصير، والحي، والرحيم، والمتكلم، والمريد، ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر، ولا كلام ولا إرادة تقوم به، فهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغةً وفطرةً[٤].

فإن كثيراً من العلماء كفرهم، والنقولات عن السلف في ذلك كثيرة لا تحصى، وأذكر طرفاً منها.

قال ابن بطة العكبري: « قال عبد الله بن المبارك: "الجهمية كفار زنادقة" .

وقال سلام بن أبي مطيع: " هؤلاء الجهمية كفار " .

وقال يزيد بن هارون: " هم والله زنادقة عليهم لعنة الله " .

---

[١] مدارج السالكين لابن القيم (٣٢٨/١-٣٢٩).

[٢] سورة التوبة الآية: ٢٩ .

[٣] أحكام القرآن (٤٧٣/٢-٤٧٤).

[٤] بدائع الفوائد لابن القيم (١٩١/١).

وقال خارجة بن مصعب: " كفرت الجهمية في غير موضع من كتاب الله " .

وسئل الإمام أحمد عمن قال: إن الله لم يكلم موسى؟ فقال: " كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه " .

وقال الإمام أحمد في الجهمي: " إذا مات وله ولد أنه لا يرثه " .

وقال إبراهيم بن نعيم: "لو كان لي سلطان ما دفن جهمي في مقابر المسلمين»[1].

ولما ذكر اللالكائي أقوال من كفر الجهمية قال: « فهؤلاء خمس مائة وخمسون نفساً أو أكثر من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين، على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام، وفيهم نحو من مائة ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا بمذهبهم، ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفاً كثيرة، لكن اختصرت وحذفت الأسانيد للاختصار، ونقلت عن هؤلاء عصراً بعد عصر لا ينكر عليهم منكر »[2].

فبهذا يتبين لنا أن أكثر العلماء يرون كفر الجهمية، ولكن التكفير المطلق غير تكفير الأعيان كما سيأتي ذكره .

وقال الإمام ابن العربي ــ رحمه الله ــ بكفر من قال القرآن مخلوق.

فقد قال: « من يقول إن القرآن مخلوق، أو أن مع الله خالقاً سواه، فلا يدركني في كفره ريب، ولا أبقي له شيئاً من الإيمان »[3].

وهذا القول قال به كثير من أهل السنة بتكفير من قال القرآن مخلوق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: « اشتهر عن أئمة السلف تكفير من قال القرآن مخلوق، وأنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، كما ذكروا ذلك عن مالك

---

[1] الإبانة للعكبري ، الرد على الجهمية ١/١٠٠.

[2] شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣١٢/٢).

[3] كتاب القبس لابن العربي (٤٠٤/١).

بن أنس وغيره، ولذلك قال الشافعي لحفص الفرد وكان من أصحاب ضرار بن عمر ممن يقول القرآن مخلوق، فلما ناظر الشافعي وقال له القرآن مخلوق، قال له الشافعي: كفرت بالله العظيم »[1].

وقد سئل الإمام مالك: يا أبا عبد الله ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ فقال: « كافر زنديق اقتلوه »[2].

وقال الإمام أحمد: « من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر »[3].

وقال يحيى بن معين: « من قال القرآن مخلوق فهو كافر».

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: « من قال القرآن مخلوق فقد افترى على الله الكذب، وقال على الله ما لم تقله اليهود ولا النصارى »[4].

وهذه الأقوال عند السلف تؤيد ما ذهب إليه أبو بكر ابن العربي من تكفير من قال بخلق القرآن.

والعلماء لم يكفروا أعيان أهل البدع، وإنما التكفير على الإطلاق لمن قال كذا فقد كفر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « لم يكفر الإمام أحمد أعيان الجهمية، ولا كل من قال إنه جهمي كفر، ولا كل من وافق الجهمية في بعض بدعهم، بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم وامتحنوا الناس، وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة، لم يكفرهم أحمد وأمثاله، بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم ويدعو لهم ويرى الإتمام بهم في الصلوات خلفهم والحج والغزوا معهم، ومنع الخروج عليهم ما يراه لأمثالهم من الأئمة وينكر ما أحدثوا من القول الباطل الذي هو كفر عظيم، وإن لم

---

[1] مجموع الفتاوى (٥٠٦/٢).

[2] الرد على الجهمية للعكبري (١٠١/١-١٠٢).

[3] المرجع السابق (١٠٢/١).

[4] المرجع السابق (١٠٢/١).

يعلموا هم أنه كفر وكان ينكره ويجاهدهم على رده بحسب الإمكان، فيجمع بين طاعة الله ورسوله في إظهار السنة والدين، وإنكار بدع الجهمية الملحدين، وبين رعاية حقوق المؤمنين من الأئمة، والأمة وإن كانوا جهالاً مبتدعين وظلمة فاسقين »[١].

فهذه عقيدة أهل السنة عدم التكفير بالعين، وأن إيضاح الحق والتحذير من الميل عن الحق وتوضيح أن هذا القول كفر.

٣- كفر الإباء والاستكبار:

وهو أن يعرف الله بقلبه ويعترف ويقر بلسانه، ويأبى أن يقبل الإيمان أو يدين به، فهو كفر إباء واستكبار، مثل كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله، ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار.

ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم ينقد إليه، إباء واستكبار، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه إذ قالوا: ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ [٢].

وكفر اليهود كما قال تعالى:﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [٣].

وقول الأمم السابقة لرسلهم إن أنتم إلا بشر مثلنا.

وهو كفر أبي طالب أيضاً، فإنه صدقه، ولم يشك في صدقه، ولكن أخذته الحمية وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم ويشهد عليهم بالكفر، وقال:

« ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا »[٤].

Masba

---

[١] مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/٥٠٧-٥٠٨).

[٢] سورة المؤمنون الآية: ٤٧ .

[٣] سورة البقرة الآية: ١٤٦ .

[٤] انظر: مدارج السالكين (١/٣٣٧).

هذا النوع مما ذكره ابن العربي، الحكم بغير ما أنزل الله فذكر ـ رحمه الله ـ أنه يكون كفرا أكبر، وقد يكون معصية تدركه المغفرة، فيكون كفرا أصغر[١].

فإنه لما ذكر قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[٢]، نقل قول طاووس فقال: « قال طاووس وغيره: "ليس بكفر ينقل عن الملة، ولكنه كفر دون كفر"، ثم عقب عليه بقوله : "وهذا يختلف إن حكم بما عنده على أنه من عند الله؛ فهو تبديل له يوجب الكفر، وإن حكم به هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة، على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين" »[٣].

ومسألة الحكم بغير ما أنزل الله قد فصل العلماء فيها على النحو التالي:

أولا: من شرع غير ما أنزل الله أو جحد أو أنكر أحقية حكم الله ورسوله ﷺ، فهذا أحد أنواع الكفر الأكبر.

فإذا كان الله هو المتفرد بالخلق والرزق والإحياء والإماتة فهو وحده المتفرد بالتشريع والتحليل والتحريم، فالدين لا يكون إلا ما شرعه الله قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[٤].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: « أي: هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار إلى نحو

---

[١] هذه المسألة عمت وطمت في زماننا فصارت كثير من البلاد الإسلامية ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ تحكم بالقوانين المستوردة من الشرق والغرب وأعرضوا عن تحكيم شرع الله سبحانه وتعالى، وهو الذي خلق البشر وشرع لهم شرعه، وهو أعلم بما يصلح به العباد، وهو اللطيف الخبير، فتحكيم القوانين طعن في حكمته وشرعه ووحدانيته سبحانه وتعالى القائل: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾.

[٢] سورة المائدة الآية: ٤٤ .

[٣] أحكام القرآن (٢/١٢٧).

[٤] سورة الشورى الآية: ٢١ .

ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة، التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأموال الفاسدة »[1].

وقال الشنقيطي: « وسمى الله تعالى الذي يطاعون فيما زينوا من المعاصي شركاء[2]، فقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾[3].

وقال ﷻ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[4].

فهؤلاء الأحبار والرهبان شرعوا غير تشريع الله تعالى فشاركوا الله في ربوبيته وسمى النبي ﷺ طاعتهم في ذلك عبادة، كما في حديث عدي بن حاتم، فقال عدي: « نحن لا نعبدهم يا رسول الله، قال: ألا تطيعونهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله؟ فقال ﷺ: فتلك عبادتهم »[5].

وقال ابن كثير: « وإذا كانت متابعة أحكام المشرعين غير ما شرعه الله، وتعتبر شركا، وقد حكم الله على هؤلاء الأتباع بالشرك، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[6]، فكيف بحال هؤلاء المشرعين؟ »[7].

---

[1] تفسير ابن كثير (١١٣/٤).

[2] انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٨٣/٤) (١٧٣/٧).

[3] سورة الأنعام الآية: ١٣٧ .

[4] سورة التوبة الآية: ٣١ .

[5] أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة التوبة، حديث رقم ٣٠٩٥ ، وابن جرير في تفسيره، (٨٠/١٠)، وحسنه شيخ الإسلام في كتاب الإيمان ص٦٤ .

[6] سورة الأنعام الآية: ١٢١ .

[7] تفسير ابن كثير (١٦٣/٢).

ويقول ابن تيمية: « والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه، أو حرم الحلال المجمع عليه، أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافرا مرتدا بالاتفاق »[١].

ويقول الشنقيطي: « من لم يحكم بما أنزل الله معارضة للرسل، وإبطالا لأحكام الله، فظلمه وفسقه وكفره كلها مخرج عن الملة »[٢].

ثانيا: أن يفضل حكم الطاغوت على حكم الله تعالى، أو يساوي حكم الطاغوت بحكم الله.

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذه الحالة ضمن نواقض الإسلام فقال: « من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر »[٣].

ويقول الشنقيطي في هذا الصدد: « وأما النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض، فتحكيمه كفر بخالق السماوات والأرض، كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف، وأنهما يلزم استواؤهما في الميراث، وكل دعوى أن تعدد الزوجات ظلم، وأن الطلاق ظلم للمرأة، وأن الرجم والقطع ونحوهما أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان ونحو ذلك.

فتحكيم هذا النوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم وعقولهم وأديانهم كفر بخالق السماوات والأرض، وتمرد على نظام السماء الذي وضعه من خلق الخلائق كلها، وهو أعلم بمصالحها، سبحانه وتعالى أن يكون معه مشرع آخر علوا كبيرا »[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٢٦٧).

(٢) أضواء البيان (٢/١٠٤).

(٣) مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١/٣٨٦).

(٤) أضواء البيان (٤/٨٤-٨٥).

قال شيخ الإسلام عند قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[1]: « من طلب أن يطاع مع الله، فهذا يريد من الناس أن يتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله، والله سبحانه أمر أن لا يعبد إلا إياه، وأن يكون الدين له »[2].

ثالثا: أن يجوز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله، أو يعتقد أن الحكم بما أنزل الله تعالى غير واجب، وأنه مخير فيه فهذا كفر، نسأل الله السلامة والعافية، يقول ابن أبي العز الحنفي: « فإن من اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر »[3].

فمن جوز الحكم بغير ما أنزل الله ففيه شبه باليهود كما جاء في حديث البراء ابن عازب ﷺ حيث قال: « مر على النبي ﷺ بيهودي محمما[4] مجلودا، فدعاهم ﷺ فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم، فدعا رجلا من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكن كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: "اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه"، فأمر به فرجم، فأنزل الله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ ﴾ يقول: أتوا محمدا ﷺ، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم

---

[1] سورة البقرة الآية: ١٦٥ .

[2] مجموع الفتاوى (٣٢٩/١٤).

[3] شرح الطحاوية (٤٤٦/٢).

[4] محمما: مسود الوجه، لسان العرب (٣٣٩/٣) مادة (حمم).

بالرجم فاحذروه، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[1]، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[2]،﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[3] في الكفار كلها »[4].

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المسألة قائلا: « ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها، ما رآه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله كسواليف البادية، وكأوامر المطاعين فيهم، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر.

فإن كثيرا من الناس أسلموا، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية لهم التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله، فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار، وإلا كانوا جهالا »[5].

ويقول ابن القيم ـ عن هذه الحالة ـ: « إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر »[6].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: « ومن حكم بما يخالف شرع الله ورسوله، وهو يعلم ذلك، فهو من جنس التتار الذي يقدمون حكم الياسق على حكم الله ورسوله »[7].

---

(١) سورة المائدة الآية: ٤٤ .

(٢) سورة المائدة الآية: ٤٥ .

(٣) سورة المائدة الآية: ٤٧ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحدود، باب رجم اليهود (١٣٢٧/٢) رقم ١٧٠٠ ، وأحمد في مسنده (٢٨٦/٤).

(٥) منهاج السنة (١٢٠/٥).

(٦) مدارج السالكين (٣٣٧/١).

(٧) مجموع الفتاوى (٥٨/٢٧).

وكتاب الياسق خليط من اليهودية والنصرانية والإسلام، وحكم شيخ الإسلام بكفرهم ولو أنهم أدعو أنهم مسلمين هذه الأنواع السابقة من الكفر الأكبر.

متى يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفرا غير مخرج من الملة أصغر؟

أجاب عن هذا أبو بكر ابن العربي فقال: « وإن حكم به هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين »[١].

قال ابن أبي العز الحنفي: « إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص، ويسمى كافرا كفرا أصغر، وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جحده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه، فهذا مخطئ له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور »[٢].

وقال محمد الأمين الشنقيطي: « من لم يحكم بما أنزل الله معتقدا أنه مرتكب حراما فاعلا قبيحا فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج من الملة ».

وقد ورد عن ابن عباس في قوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾: « ليس الكفر الذي تذهبون إليه ــ وفي رواية قال: كفر لا ينقل عن الملة ــ »[٣]، وعلى هذا يحمل كلام ابن عباس أنه حكم به هوى ومعصية، وإلا فهو معتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، واعترف أنه مستحق للعقوبة، فهذا كفر لا ينقل عن الملة.

وعلى هذا التقسيم سار أبو بكر ابن العربي في أن الحكم بما أنزل الله على قسمين: منه ما يخرج من الملة، ومنه ما لا يخرج من الملة، وهذا هو القول الراجح، لا إلى التكفير المطلق ولا إلى التساهل وعدم التكفير، ولكن التكفير يكون بضوابطه الشرعية.

---

[١] أحكام القرآن (٥٧٩/١).

[٢] شرح العقيدة الطحاوية (٤٤٦/١).

[٣] أخرجه الحاكم (٣١٣/٢).

المبحث الثاني

الشرك وأنواعه

تمهيد:

الشرك:

هو أعظم ذنب عصي الله بــه، كما قــال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1]، وقال ﷺ: « ألا أخبركم بأكبر الكبائر، الشرك بالله »[2]، ولـذا فإن من مات عليه خلد في نار جهنم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾[3]، وقال جل شأنه: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[4].

وهو محبط للأعمال، كما قال سبحانه مخاطبا رسوله ﷺ: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[5]، وإذا كان خطابه لرسوله ﷺ هكذا فمن دونه من الناس أولى، إذا ما وقع في شيء من الشرك.

قال ﷺ: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها »[6]، هذا إذا كان الشرك شركا أكبر،

---

[1] سورة لقمان الآية: ١٣ .

[2] أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر حديث رقم ٥٩٧٧ ، والترمذي في كتاب التفسير، سورة النساء رقم ٣٠١٨ ، وأحمد في مسنده (٢٠١/٢).

[3] سورة البينة الآية: ٦ .

[4] سورة المائدة الآية: ٧٢ .

[5] سورة الزمر الآية: ٦٥ .

[6] أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، حديث رقم ٢٥ ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس، حديث رقم ٢٢ .

وقال ﷺ: « لا يرث المسلم الكافر »[١].

وأما الأصغر فهو محبط للعمل، وهو أكبر من كبائر الذنوب وأعظم منها، نسأل الله العافية والسلامة.

[١] أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم، حديث رقم ٦٧٦٤ ، ومسلم في كتاب الفرائض حديث رقم ١٦١٤ ، كلاهما من حديث أسامة.

الشرك وأنواعه:

قبل أن نتطرق إلى الشرك وأنواعه نذكر تعريفه في اللغة والاصطلاح.

- **الشرك في اللغة:**

قال الراغب الأصفهاني: « شرك، الشركة والمشاركة خلط الملكين، وقيل: هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعدا، عينا كان ذلك الشيء أو معنى، كمشاركة الإنسان والفرس في الحيوانية، ومشاركة فرس وفرس في الكمتة والدهمة، يقال: شركته وشاركته وتشاركوا واشتركوا وأشركته في كذا »[1].

وقال ابن منظور: « الشركة والشركة سواء مخالطة الشريكين، يقال: اشتركنا، بمعنى: تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر، والشريك المشارك، والشرك كالشريك، والجمع أشراك وشركاء »[2].

- **والشرك في الاصطلاح:**

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: « فالشرك تشبيه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع »[3].

وقد قسم الإمام أبو بكر ابن العربي كغيره من العلماء الشرك إلى نوعين رئيسين: قسم في الاعتقاد وقسم في العمل، فقال: « والشرك على أقسام، ويعود ذلك إلى قسمين: قسم في الاعتقاد وقسم في العمل، فإن كان الشرك في الاعتقاد فلا خلاص ولا قصاص، وإن كان الشرك في العمل رجي الخلاص ووقع في الأعمال القصاص، ورجع قوله في حق العباد على الله إلا يعذبهم، إذا انتفى الشرك كله، فإن

---

[1] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (٣٤١/١) مادة (شرك).

[2] لسان العرب لابن منظور (٩٩/٧) مادة (شرك).

[3] الجواب الكافي لابن القيم (٢٠١).

انتفى بعضه كان الجزاء على حسب ترتيب ذلك وتتريله، ولكن إذا مات لا يشـــرك بالله شيئا دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق »[1].

فقد جعل الشرك نوعين:

الأول في الاعتقاد: وهذا يكون كافرا خارجا عن ملة الإسلام.

الثاني في الأعمال: فهذا لا يكفر به ورجي له الخلاص.

وبعض العلماء يسمى النوع الأول: الشرك الأكبر، والنوع الثاني: الشرك الأصغر، ولعل من قسم هذا التقسيم أدق في العبارة، لأن الرياء وهو من الشرك الأصغر في القلب وإن كان الأغلب في الشرك الأصغر يكون في الأعمال، فعموما الاختلاف في التسمية لا يضر لأن الغالب على الشرك الأكبر يكون بفساد معتقد صاحبه.

وإن كان عملا ظاهرا كالطواف بالقبر أو الذبح لغير الله والشرك الأصغر يكـــون في الغالب في الأعمال.

---

[1] عارضة الأحوذي (١٠/١٠٦-١٠٧).

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

١- أن الشرك الأكبر مخرج للعبد من ملة الإسلام بعكس الأمر بالنسبة للشرك الأصغر، لذلك أشار أبو بكر ابن العربي إلى هذا فقال: « فإن كان في الاعتقاد فلا خلاص ولا قصاص »[1].

٢- أن الشرك الأكبر محبط للأعمال كلها، جملة وتفصيلا، وأما الشرك الأصغر فلا يبطل إلا ما خالط أصله أو غلب على العمل.

٣- الشرك الأكبر موجب للخلود في النار، وأما الشرك الأصغر فلا يوجب الخلود فهو إما موجب لدخول النار أو هو تحت المشيئة، وإما أن يعفو الله عنه أو يغفر له فلا يدخل النار.

٤- أن الشرك الأكبر يحل النفوس والأموال، بعكس الأصغر فإن صاحبه مسلم مؤمن ناقص الإيمان، فاسق من حيث الحكم.

٥- يجتمعان في استحقاق صاحبها للوعيد وأنهما من أكبر الكبائر.

٦- أن الشرك الأكبر لا يغفر، بعكس الأصغر فإنه يغفر[2].

---

[1] عارضة الحوذي (١٠/١٧).

[2] انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، صالح ابن فوزان الفوزان (٧٤-١٣٤)، والمدخل لدراسة العقيدة الإسلامية بتصرف البريكان (١٢٧-١٢٨).

النوع الأول من أنواع الشرك:

الشرك الأكبر:

وهو أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين[١].

ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: « ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ »[٢]، مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة، فلذلك يعظموهم أكثر من تعظيمهم لله، وإذا استنقص أحد وليا أو شيخا مما يعظمونه غضبوا له أكثر مما يغضبون إذا انتقص الله سبحانه وتعالى، بل ذكر ابن القيم ــ رحمه الله ــ أنه شاهد من هذا الصنف كثير، فقال ــ رحمه الله ــ: « وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا إذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوداتهم غضبوا غضب الليث، وإذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها، بل إذا قام المنتهك بإطعامهم شيئا رضوا عنه ولم تتنكر له قلوبهم، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبودة من دون الله على لسانه ديدنا له إن قام، وإن قعد وإن عثر وإن مرض وإن استوحش فذكر إلهه ومعبودة، وهو الغالب على قلبه ولسانه، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده ووسيلته إليه »[٣].

---

[١] مدارج السالكين لابن القيم (٣٣٩/١).

[٢] سورة الشعراء الآيتان: ٩٧-٩٨ .

[٣] مدارج السالكين لابن القيم (٣٣٩/١).

وفيهم شبه بمشركي قريش الذين يقولون عن آلهتهم كما حكى الله عنهم في القرآن: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا ﴾ (١) وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ ﴾ (٢).

---

(١) سورة يونس الآية ١٨ .

(٢) سورة الزمر الآية: ٣ .

النوع الثاني من أنواع الشرك:

الشرك الأصغر أو الشرك في الأعمال

قال ابن العربي: « وإن كان الشرك في العمل رجي الخلاص ووقع في الأعمال القصاص، ورجع حقه في قوله في حق العباد على الله ألا يعذبهم إذا انتفى الشرك كله، فإن انتفى بعضه كان الجزاء على حسب »[١].

قال ابن القيم: « وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق و الحلف بغير الله، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "من حلف بغير الله فقد أشرك"[٢]، « وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ومالي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك » وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب قائله[٣] ومقصده.

ومن أشد ما يقع الناس فيه من هذا الشرك الرياء، فقد ذكر ﷺ أنه يخافه على أمته أشد من خوفه عليهم من المسيح الدجال.

وقد عرف أبو بكر ابن العربي ـــ رحمه الله ـــ الرياء، بقوله: « وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادات، وأصله طلب المترلة في قلوب الناس، **فأولها**: تحسين السمت، ويريد بذلك الجاه والثناء.

ثانيها: الرياء بالثياب القصار والخشنة، ليأخذ بذلك هيئة الزهد في الدنيا.

ثالثها: الرياء بالقول، بإظهار السخط على أهل الدنيا، وإظهار الوعظ والتأسف على ما يفوت من الخير والطاعة.

---

[١] عارضة الأحوذي (١٠٧/١).

[٢] أخرجه الترمذي في كتاب الأيمان، باب ما جاء في أن من حلف بغير الله فقد أشرك، حديث رقم ١٥٣٥ ، وأبو داود في كتاب الأيمان، باب كراهة الحلف بالآباء، حديث رقم ٣٢٥١ .

[٣] مدارج السالكين (٣٤٤/١).

رابعها: الرياء بإظهار الصلاة والصدقة أو بتحسين الصلاة لأجل رؤية النـــاس، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾[1] »[2].

وقد تكلم ــ رحمه الله ــ عن الرياء وخطره عند قولـه تعـالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝﴾[3] وقوله: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾[4]: « فيه بيان لما قال النـبي ﷺ: "إنمـا الأعمـال بالنيات"[5]، وذلك لأن العبد لا يعطى إلا على وجه قصده، وبحكم ما ينعقد ضمـيره عليه، وهذا أمر متفق عليه في الأمم من أهل كل ملة.

أخبر الله سبحانه أن من يريد الدنيا يعطى ثواب عمله فيها، ولا يبخس منه شيئا.

واختلف بعد ذلك في وجه التوفية؛ فقيل في ذلك صحة بدنه أو إدرار رزقه، وقيل: هذه الآية مطلقة، وكذلك الآية التي في حم عسق: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ﴾[6].

الآية قيدها وفسرها بالآية التي في سورة سبحان، وهـي قولـه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾[7].

فأخبر سبحانه أن العبد ينوي ويريد والله أعلم بما يريد.

قال مجاهد: « هي في الكفرة، وفي أهل الرياء ».

---

[1] سورة الماعون الآيات: ٤-٧ .

[2] أحكام القرآن (٤/٤٥٤).

[3] سورة هود الآية:١٥ .

[4] سورة الشورى الآية: ٢٠ .

[5] أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، حديث رقم ١ ، ومسلم في كتاب الإمارة، باب إنما الأعمال بالنية، حديث رقم ٤٥ .

[6] سورة الشورى الآية: ٢٠ .

[7] سورة الإسراء الآية: ١٨ .

قال القاضي: « هي عامة في كل من ينوي غير الله بعمله، كان معه أصل إيمان، أو لم يكن، وقد قال النبي ﷺ: "قال الله: إني لا أقبل عملا أشرك فيه معي غيري، أنا أغنى الأغنياء عن الشرك"[1] »[2].

فخطر الرياء عظيم، فمهما كان العمل فاضلا وعظيما فإنه بالرياء ينقلب وبالا على صاحبه، وإن كانت أعمال جهاد وعلم وإحسان إلى الخلق، والدليل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « إن الله جل ثناؤه إذا كان يوم القيامة نزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعى به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله جل ثناؤه: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت ويقول الله ﷻ: بل أردت أن يقال: فلان قارئ؛ فقد قيل ذلك.

---

(1) عزاه العجلوني بهذا اللفظ في كتابه كشف الخفاء، (١٣٢/٢) حديث رقم ١٨٩٥ إلى مالك، ولم أجده عند غيره وسيأتي بلفظ آخر قريب منه وهو عند مسلم بلفظ: « قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه ». انظر تخريجه ص .

(2) أحكام القرآن (١٥/٣-١٦). و قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب عند قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ (هود: ١٥) : « قال ابن عباس: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: ثوابها ومآلها وزينتها، ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ ﴾ نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسرور في الأهل والمال والولد، ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ لا ينقصون، ثم نسختها: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ (الإسراء: ١٩).
قال الشيخ سليمان: « قوله: "نسختها" أي: قيدتها وخصصتها، فإن السلف كانوا يسمون التقييد والتخصيص نسخا ».
وقال الضحاك: « من عمل صالحا من أهل الإيمان من غير تقوى، عجل له ثواب عمله في الدنيا ».
قال ابن القيم: « وهذا أرجح ».
وقال طائفة: « هذه الآية في الكفار بدليل قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ﴾ [هود: ١٦] »[انظر تيسير العزيز الحميد ملخصا ص٥٣٥].

ويؤتى بصاحب المال، فيقول الله تعالى: أو لم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، بل أردت أن يقال: فلان جواد، فقد قيل لك ذلك.

ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقال له: فماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جريء، فقد قيل ذلك.

ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي وقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة»[1].

---

[1] أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة، حديث رقم ٢٣٨٢ ، وقال الترمذي حديث حسن غريب، وأصل الحديث عند مسلم بلفظ آخر.

المبحث الثالث

النفاق وأقسامه

تمهيد:

أكثر الله سبحانه في وحيه من ذكر أوصاف المنافقين، لخطورتهم على المجتمع الإسلامي، فاقتضت حكمة الله كشف أسرارهم وهتك أستارهم، وبيان دفائن نفوسهم.

وحقيقة المنافقين كما صورها الله سبحانه مما يشهد به واقعهم في كل عصر وبلد، هي صورة مخالفة لصورة المؤمن الحقيقي والكافر الواضح، فإن الكفرة على اختلاف مللهم ونحلهم كفرهم واضح وصريح، فهؤلاء قد أراحوا المؤمنين بصراحتهم، لكن مصيبة المسلمين ومدخل الشر في المرتدي زي الصديق والمتملق بلسانه الذي يظهر الإيمان والاعتراف بالله وتقديس رسوله والقرآن وهو يحمل في قلبه من الغيظ للمسلمين ما لا يقل عن غيظ الكفار أو يزيد.

وإن كانوا في الغالب من علية القوم، إلا أنهم لا يملكون الشجاعة التي يجرؤن بها على مقابلة الدين وإنكاره الصريح، فيضطرون إلى إظهار خلاف حقيقتهم، فلهذا فضحهم الله لعباده المؤمنين في سور كثيرة، مبتدئا بسورة البقرة مبينا أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وأنهم يخادعون الله والذين أمنوا[1].

---

[1] انظر النفاق وأثاره، عبد الرحمن الدوسري ص٩ .

النفاق وأقسامه

تعريف النفاق وأقسامه:

يسمى المنافق منافقا لأنه يستر كفره ويغيبه، فشبه بالذي يدخل النفق، وهو السرب فيستتر به، وقيل: سمي به من نافقاء اليربوع له جحر يقال له: النافقاء، وآخر يقال له: القاصعاء فإذا طلب من القاصعاء قصع فخرج من النافقاء كذا المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي يدخل فيه[1].

وأما النفاق في الشرع:

فقد قال الإمام أبو بكر ابن العربي: « وهو إظهار القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد »[2].

وقال ابن كثير: « هو إظهار الخير وإسرار الشر »[3].

أقسام النفاق:

قسم ابن العربي النفاق إلى قسمين: نفاق في الاعتقاد وهو مخرج من الملة، ونفاق عملي وهو غير مخرج من الملة.

قال ابن العربي: « فإن كان في توحيد الله وتصديقه كان كفرا صريحا، وإن كان في الأعمال كان معصية، وكان نفاقا دون نفاق، كالقول كفر دون كفر، وكما وردت الآثار قرآنا وسنة في إطلاق الكفر على العقائد والأقوال والأعمال، كذلك وردت في

---

(١) القاموس المحيط (٢/٢٨٦)، وشرح السنة (١/٧٥-٧٦).

(٢) عارضة الأحوذي (١٠/٩٧-٩٨) أحكام القرآن (٢/٥٥٠).

(٣) تفسير ابن كثير (١/٧).

اسم النفاق، فمحمل كل واحد على معناه وركب عليه حكمه، وكانت عربية صحيحة، فهمها من شاء الله وغفل عنها من شاء الله »[1].

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: « النفاق من الكفر، ولهذا كثيرا ما يقال كفر ينقل عن الملة وكفر لا ينقل، ونفاق أكبر ونفاق أصغر »[2].

وقال ابن كثير: « والنفاق أنواع، اعتقادي: وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي: وهو من أكبر الذنوب »[3].

وقال الحافظ ابن رجب: « والنفاق في الشرع ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

والثاني: النفاق الأصغر وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة ويبطن ما يخالف ذلك، وأصول هذا النفاق يرجع إلى الخصال المذكورة في الأحاديث »[4].

إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر، وإذا أؤتمن خان.

---

(1) عارضة الأحوذي (١٠/٩٨).

(2) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧/٥٢٤).

(3) تفسير ابن كثير (١/٤٧).

(4) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص٤٠٢).

إذا فنخلص إلى أن النفاق ينقسم إلى قسمين:

- **نفاق أكبر:**

ويكون في كل ما يناقض الإيمان من الاعتقاد غالبا، في توحيد الله وتصديقه، وفي العمل مثل تنقص الرسول ﷺ والسخرية به والاستهزاء به، قال تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[1].

- **ونفاق أصغر:**

وغالبا ما يكون في الأعمال، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا أؤتمن خان.

ففي حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: « أربع من كن فيه كان منافقا، وإن كانت خصلة منهن فيه كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر »[2].

قال أبو بكر ــ رحمه الله ــ: « إن الناس اختلفوا في هذا الحديث على أربعة أقوال:

الأول: أن من اجتمعت فيه كان منافقا خالصا كما ورد في الخبر، وهذا رأي من قنع من اللب بالقشر، وليس على كل ظاهر تحمل الأحاديث.

الثاني: أن المراد به من كان الغالب عليه الخصال المذمومة، لا من تكون منه نادرا.

الثالث: قال الحسن: المراد به نفاق الأعمال، يعني: الرياء، ألا ترى إلى أولاد يعقوب حدثوا فكذبوا ووعدوا فأخلفوا وعاهدوا فغدروا.

---

[1] سورة التوبة الآية: ٦٦ .

[2] أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم ٣٤ ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب خصال المنافق، حديث رقم ٥٨ .

الرابع: كان ذلك على عهد النبي ﷺ ثم ارتفع المراد بالحديث »[1].

ثم رجح ــ رحمه الله ــ فقال: « المختار من ذلك أن يقول الذي يحدث فيكذب إن كان في التوحيد فهو كافر وإن كان في غير ذلك فهو عاص، والكل نفاق، وكذلك من عاهد فغدر ووعد فأخلف، إن كان ذلك مع الله فهو كافر كقوله: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[2].

ثم أتاه الله من فضله وأبطله، وكذلك من أؤتمن فقد قال الله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾[3].

والتوحيد منها فمن خان فيه كان كافرا، ومن خان في غيره كان عاصيا »[4].

فنجد أبا بكر ابن العربي رجح ــ رحمه الله ــ في هذا الحديث حسب ما قسم النفاق إلى قسمين: **أولا:** في الاعتقاد وهو الأكبر، **والثاني:** وهو الأصغر في الأعمال وهو معصية.

وقال النووي في شرح هذا الحديث: « هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك، وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار، فإن أخوة يوسف عليه السلام جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله، وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون والأكثرون ــ وهو الصحيح المختار ــ أن معناه أن هذا الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود

---

[1] عارضة الأحوذي (١٠/٩٨-٩٩).

[2] سورة التوبة الآية: ٧٥ .

[3] سورة الأحزاب الآية: ٧٢ .

[4] عارضة الأحوذي (١٠/٩٨-٩٩).

في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقا في حق من حدثه ووعده وأئتمنه وخاصمه وعاهده من الناس، لا أنه منافق في الإسلام، فيظهره وهو يبطن الكفر، و لم يرد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في النار، وقوله ﷺ: « كان منافقا خالصا » معناه: شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال غالبة عليه، فأما من يندر ذلك منه فليس داخلا فيه، فهذا هو المختار في معنى الحديث »[1].

فالنووي ـ رحمه الله ـ متفق مع أبي بكر ابن العربي على أن من فعل هذه الخصال يكون منافقا نفاقا عمليا، فلا يكون مخلدا في النار، ولكن ينبغي للمسلم أن لا يتساهل في ارتكاب هذه الخصال، فإن من عقاب المعصية المعصية بعدها.

فيخشى على من تساهل في ارتكاب هذه الخصال أن يوصله النفاق العملي إلى النفاق الإعتقادي، فيختم له بسوء، نسأل الله العافية.

وقد كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم، فكان عمر يسأل حذيفة عن نفسه، قال البخاري في صحيحه: « قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ، كلهم يخاف النفاق على نفسه، ويذكر عن الحسن قال: ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق، وكان يقول: من لم يخف النفاق فهو منافق »[2]، وسمع رجل أبا الدرداء يتعوذ من النفاق في صلاته، فلما سلم قال له: « ما شأنك وشأن النفاق؟ فقال: اللهم اغفر لي ثلاثا، لا تأمن البلاء، والله إن الرجل ليفتن في ساعة واحدة فينقلب عن دينه »[3].

---

[1] شرح النووي على صحيح مسلم (٢م٤٦-٤٧). ط. مصرية.

[2] جامع العلوم و الحكم ص ٤٠٧.

[3] صفة المنافقين لأبي بكر الفريابي ص ٥٦ .

قال طريف: « قلت للحسن: يا أبا سعيد، إن ناسا يزعمـون ألا نفـاق أولا يخافون النفاق، فقال: والله لأن أكون أعلم أنى بريء من النفاق أحب إلي من طلائـع الأرض ذهبا »[1].

والآثار عند السلف كثيرة في هذا الباب.

نسأل الله السلامة والعافية، وأن يختم لنا جميعا بالإيمان والعمل الصالح.

---

[1] المرجع السابق ص ٥٩ .

الفصل الثالث

الكبائر والصغائر

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الكبيرة والفرق بينها وبين الصغيرة.

المبحث الثاني : الرد على القائلين بخلود صاحب الكبيرة.

المبحث الثالث : التوبة وشروطها.

تمهيد:

في انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر على قولين:

١- ذهب الجمهور من السلف والخلف إلى أن من الذنوب كبائر وصغائر[١].

وذهب قوم إلى أن الذنوب ليس فيها صغيرة، بل كل ما نهى الله عنه كبيرة، منهم: أبو إسحاق الإسفراييني، وأبو بكر ابن الطيب، وأصحابه من الأشعرية، فقالوا: « المعاصي كلها كبائر، وإنما يقال لبعضها صغير بالإضافة إلى ما هو أكبر منها، كما يقال للقبلة المحرمة صغيرة بإضافتها إلى الزنا، واحتجوا بأن كل مخالفة لله فهي بالنسبة إلى جلاله كبيرة »[٢].

وأما أبو بكر ابن العربي ــ رحمه الله ــ فقد رجح أن في الذنوب كبائر وصغائر، وأن الكبائر منصوص عليها، واقتضى أيضا أن فيها صغائر ضرورة، لأنها من الأسماء المتقابلة كالطويل والقصير والأب والابن.

ثم ذكر الأدلة على الكبائر، فقال: « قال تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾[٣]، وقال النبي ﷺ: "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر"[٤]، فاقتضى ذلك أن في الذنوب كبائر »[٥]، ولما ثبت عن النبي ﷺ متواترا من تخصيص بعض الذنوب باسم الكبائر، وبعضها بأكبر الكبائر.

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٧/١) ، فتح الباري (٤٠٩/١٠).

(٢) انظر: فتح الباري (٤٠٩/١٠) بتصرف.

(٣) سورة النساء الآية: ٣١ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس (٢٠٩/١) حديث رقم ٢٣٣ .

(٥) انظر عارضة الأحوذي (١٥١/١).

إذا فنخلص إلى أن في الذنوب كبائر وصغائر، وهذا هو القول الراجح، للأدلـــة الواردة في الكتاب والسنة.

المبحث الأول

تعريف الكبيرة والفرق بينها وبين الصغيرة

▫ تعريف الكبيرة لغة:

قال ابن منظور: « الكبير: الإثم الكبير وما وعد عليه النار، والكبيرة كالكبر، التأنيث للمبالغة، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾[1]، وفي الأحاديث ذكر الكبائر في غير موضع، واحد لها كبيرة، وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا »[2].

▫ تعريف الكبيرة اصطلاحا:

اختلف العلماء ــ رحمهم الله ــ في تعريف الكبيرة.

قال الإمام أبو بكر ابن العربي: « إن كل ما ورد عليه الوعيد من الله بالعقاب أو ما في معناه فهو كبيرة، وما ورد عنه النهي مطلقا من غير اقتران وعيد فليس بكبيرة »[3].

قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ: « أما الكبائر فاختلف السلف فيها اختلافا لا يرجع إلى تباين وتضاد، وأقوالهم متقاربة »[4].

وقال سفيان الثوري: « ما كان فيه من المظالم بينك وبين العباد، والصغائر ما كان بينك وبين الله »[5].

وقال الضحاك: « هي ما أوعد الله عليه في الدنيا أو عذابا في الآخرة ».

---

[1] سورة الشورى الآية ٣٧ .

[2] اللسان (١١٨/١٢) مادة (كفر).

[3] عارضة الأحوذي (١٥٢/١١).

[4] مدارج السالكين (٣٢٠/١).

[5] المرجع السابق (٣٢٢/١).

وقال عبد الله بن مسعود: « ما نهى الله عنه في سورة النساء من أولها إلى قوله: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [١] فهو كبيرة »[٢].

وقال ابن عباس: « الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب فهو كبيرة ».

وقال ابن جرير: « وهذا القول قال به سعيد بن جبير ومجاهد والحسن »[٣]، وهذا أرجح الأقوال وأقربها إلى الصواب، قال ابن أبي العز: « وهذا أمثل الأقوال وأرجحها »[٤].

وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: « فهذا الضابط أولى من سائر تلك الضوابط المذكورة لوجوه:

أحدها: أنه المأثور عن السلف، ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن.

الثاني: أن الله قال: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[٥].

فقد وعد مجتنب الكبائر بتكفير السيئات واستحقاق الوعد الكريم، وكل وعد بغضب أو لعنة أو نار أو حرمان جنة أو ما يقتضي ذلك فإنه خارج عن هذا الوعد.

الثالث: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر، وأما تلك الأمور الأخرى فلا يمكن الفرق بها بين الكبائر والصغائر »[٦].

---

[١] سورة النساء الآية: ٣١ .

[٢] مدارج السالكين (١/٣٢١-٣٢٢).

[٣] ابن جرير طبري (٨/٢٤٦).

[٤] شرح العقيدة الطحاوية (ص٤١٤-٤١٥).

[٥] سورة النساء الآية: ٣١ .

[٦] مجموع فتاوى (١١/٦٥٤-٦٥٥).

وأما الصغيرة فهي خلاف الكبيرة، فكل ذنب لم يقترن بوعيد أو حد أو لعن أو لم يشدد النكير عليه و لم يوصف فاعله بالفسق فهو صغيرة.

مما سبق يتبين أن الإمام أبا بكر ذهب إلى هذا القول في تعريف الكبيرة، وهـــذا القول يحصل به الفرق بين الكبيرة والصغيرة، وهو القول الراجح إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني

الرد على القائلين بخلود صاحب الكبيرة في النار

تمهيد:

مذاهب السلف وسط بين المرجئة من جهة والخوارج والمعتزلة من جهة أخرى، فهو عند أهل السنة مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وأنه إذا مات وهو مصر عليها و لم يتب منها فأمره إلى الله، إن شاء غفر له وأدخله جنته، وإن شاء عذبه على قدر ذنبه، ثم أخرجه من النار وأدخله الجنة، إذ لا يخلد في النار إلا من كفر وأشرك.

ومن القائلين بخلود صاحب الكبيرة في النار الخوارج والمعتزلة:

فأما المعتزلة فمرتكب الكبيرة عندهم في الدنيا لا يسمى مؤمنا ولا كافرا، وأما في الآخرة فإنه خالد مخلد في النار، وإن كان عقابه دون عقاب الكفار.

يقول القاضي عبد الجبار في تقرير عقيدهم: « لا خلاف بينهم أن وعيد الله بالعقاب حق لا يجوز عليه الاختلاف ولا الكذب، كما أن وعده بالثواب حق، ولا خلاف بينهم في أن مرتكب الكبائر من أهل النار، وأن من دخل النار يكون مخلدا فيها كالكافر، وإن كان حاله في العقاب دونه »[1].

وكذلك الخوارج يرون مرتكب الكبيرة كافرا ومخلدا في النار.

قال الأشعري: « وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر، إلا النجدات فإنها لا تقول بذلك »[2].

وقال الحافظ ابن حجر: « وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر »[3].

---

(1) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار ص ٣٥٠.

(2) مقالات الإسلاميين (١/١٦٨).

(3) فتح الباري (١٢/٢٨٥).

وقال شيخ الإسلام: « حكم مرتكب الكبيرة عندهم أنه من أهل النار »[١].

وقال الأشعري عن جمهور الإباضية: « يزعمون أن مخالفيهم من أهل الصلاة كفار وليسوا بمشركين، حلال مناكحتهم وموارثتهم، حلال غنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب، حرام ما وراء ذلك، وحرام قتلهم وسبيهم في السر، إلا من دعا إلى الشرك في دار التقية ودان به، وزعموا أن الدار دار توحيد إلا عسكر السلطان فإنه دار كفر، وقالوا أيضا: إن جميع ما افترض الله سبحانه على خلقه إيمان، وإن كل كبيرة فهي كفر نعمة لا كفر شرك، وإن مرتكبي الكبائر في النار خالدون مخلدون فيها »[٢].

أدلة الخوارج والمعتزلة:

احتج الخوارج والمعتزلة على قولهم بظواهر بعض النصوص التي فيها تكفير من أتى شيئا من هذه الكبائر أو خلوده في النار أو حرمانه من الجنة.

واحتجوا من كتاب الله بآيات منها قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[٥] وغير هذه الأدلة.

---

[١] مجموع الفتاوى (٤/٤٧٢).

[٢] مقالات الإسلاميين (١/١٨٤-١٨٥-١٨٩).

[٣] سورة الجن الآية: ٢٣ .

[٤] سورة المائدة الآية: ٤٤ .

[٥] سورة الحجرات الآية: ٢ .

ومن السنة قوله ﷺ: « من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما »[1]، وقوله ﷺ: « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض »[2]، وقوله ﷺ: « لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم »[3].

وغيرها من النصوص العامة في التكفير.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه، حديث رقم ٦١٠٤ ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان من قال لأخيه المسلم يا كافر، حديث رقم ٦٠ .

(2) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، حديث رقم ١٧٣٩ ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معنى لا ترجعوا بعدي كفارا، حديث رقم ٦٥ والذي بعده واللفظ له.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض، باب من ادعى إلى غير أبيه، حديث رقم ٦٧٦٨ ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان حال من رغب عن أبيه، حديث رقم ٦٤ .

الرد على من قال بخلود صاحب الكبيرة في النار

قال أبو بكر ـــ رحمه الله ـــ في رده عليهم عند قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا ﴾[1]: « وأمثالها من الآيات لا تعلق لهم فيها، وهي أبين من الشمس لذي بصر وبصيرة وفيها وفي أمثالها ثلاث مسالك:

المسلك الأول: أن نحملها كما تريدون على عمومها، فنقول كذلك نحكم، فإن من يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يخلد في النار، فإن تعدي بعض الحدود لا يقتضي ذلك التخليد.

المسلك الثاني: أن قوله خالدا فيها لا يقتضي بلفظه عربية أنه لا آخر له، إنما يقتضي بقاء مدة طويلة، وأن عدم الانقطاع في الثواب والعقاب لا نأخذه من لفظ الخلود، وإنما يستفاد بدليل آخر.

المسلك الثالث: أن الآية لم تتقص جميع المعاصي على العموم باجتماعها، وإنما المراد بعضها، فقد بين الله ذلك البعض فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[2]»[3].

وقال عند حديث ابن مسعود: « قتال المسلم أخاه كفر وسبابه فسوق »[4]: « إن القتال الواقع بين المسلمين إما أن يكون بتأويل لطلب الاهتداء من الفريقين، فإنه لا يكون منه شيء ولا فسق، بل كل واحد منها مجتهد مصيب غير معاقب، كقتال أهل

---

[1] سورة النساء الآية: ١٤ .

[2] سورة النساء الآيات: ٤٨ ، ١١٦ .

[3] عارضة الأحوذي (٩٠/١٠).

[4] عارضة الأحوذي (١٠١/١٠)، والحديث أخرجه بهذا اللفظ الترمذي في جامعه في كتاب الإيمان، باب ما جاء سباب المسلم فسوق، حديث رقم ٢٦٣٤ ، وهو عند البخاري برقم ٤٨ ، ومسلم برقم ٦٤ بلفظ: « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » .

العراق وأهل الشام بين علي ومعاوية، فإنه لم يكن أحد منهم كافرا ولا فاسقا، قال النبي ﷺ: " إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين" [١]، قلت: وسماهم الله مسلمين، فيدل على أنهم مسلمين ولو تقاتلوا و لم يكفروا بذلك.

ثم قال أبو بكر ابن العربي: « ويمكن أن يكون القتال فسقا، ويمكن أن يكون كفرا على حسب القرائن في ما يقاتل عليه، وإذا كان على الاستطالة فهو كفر عند المبتدعة، ويوجب الخلود في النار، وعند أهل السنة يكون فسقا، وإن كان الاقتتال على عقيدة كالمقاتلة على خلق الأفعال أو على إنكار الرؤية أو الصفات، كان ذلك بحسب القول في إكفار المتأولين »[٢].

وهنا نورد بعض الأدلة تأكيدا لكلام الإمام أبي بكر ابن العربي ونصرة ما ذهب إليه ـــ رحمه الله ـــ في عدم تكفير أهل الكبائر وعدم تخليدهم في النار:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [٣].

قال ابن عبد البر: « ومعلوم أن هذا بعد الموت لمن لم يتب، لأن الشرك ممن تلب منه قبل الموت وانتهى عنه غفر له كما تغفر الذنوب كلها بالتوبة جميعا، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [٤] »[٥].

ومن الحجج أيضا أن الله فرض الحدود على الزاني والقاذف والسارق، وجعل هذه الحدود كفارات لهم، كما قال ﷺ: « من أقيم عليه الحد فهو كفارة له »[٦].

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن إن ابني هذا سيد، حديث رقم ٢٧٠٤ ، وهو جزء من حديث طويل.

[٢] عارضة الأحوذي (١٠٢/١٠).

[٣] سورة النساء الآية: ١١٦ .

[٤] سورة الأنفال الآية: ٣٨ .

[٥] التمهيد لابن عبد البر (١٦/١٧) وزارة الأوقاف بالمغرب تحقيق جماعة من العلماء.

[٦] رواه مسلم في كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، حديث رقم ١٧٠٩ .

وهذا يدل على أنهم ليسوا كفارا، إذ لو كانوا كفارا بارتكابهم هذه الكبائر لأقيم عليهم حد الردة، ولو كانوا كفارا لما جاز توريثهم، وقد قام الإجماع على توريثهم.

قال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية: « ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد »[١].

وقال ابن عبد البر: « وجعل الله في بعض الكبائر حدودا جعلها طهرة، وفرض كفارات في كتابه للذنوب من التقرب إليه بما يرضيه، فجعل على القاذف جلد ثمانين إن لم يأت بأربعة شهداء و لم يجعله بقذفه كافرا، وجعل على الزاني مائة وذلك طهرة له، كما قال ﷺ في التي رجمها: " لقد خرجت من ذنوبها كما ولدتها أمها "[٢]، وقال ﷺ: "من أقيم عليه الحد فهو كفارة له، ومن لم يقم عليه حده فأمره إلى الله، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه "[٣] وما لم يجعل فيه حدا فرض فيه التوبة منه والخروج عنه إن كان ظلما لعباده، وليس فيه شيء من السنن المجتمع عليه ما يدل على تكفير أحد بذنب »[٤].

وأيضا ثبت أن للظالم حسنات يستوفي منها المظلوم حقه، فلو كان كافرا لما كان له حسنات.

قال ابن أبي العز: « وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: " من كانت عنده لأخيه مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون درهم ولا دينار إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم

---

(١) شرح الطحاوية (٢/٤٤٣).

(٢) رواه مسلم في كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، حديث رقم ١٦٩٥ .

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) التمهيد (١٧/١٩).

تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه، ثم القي في النار"[١]، وكذلك ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "ما تعدون المفلس فيكم؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار، قال: المفلس من يأتي يوم القيامة وله حسنات أمثال الجبال، وقد شتم هذا وأخذ مال هذا وسفك دم هذا وقذف هذا وضرب هذا فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار"[٢]، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[٣]، فدل ذلك على أنه في حال إساءته يفعل حسنات تمحو سيئاته »[٤].

وأيضا من الأدلة قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ... ﴾[٥] الآية، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ... ﴾[٦].

فجعلهم الله إخوة رغم أنه يقاتل بعضهم بعضا، فدل على أنه لا يكفر بذلك، وأيضا سماهم مؤمنين رغم تقاتلهم و لم يجعل أحدا منهم كافرا.

وأيضا قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ ﴾[٧]، فأثبت له أخوة الإسلام رغم أنه قاتل، وقوله ﷺ: « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي »[٨].

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته، حديث رقم ٢٤٤٩ .

[٢] رواه مسلم في كتاب البر، باب تحريم الظلم حديث رقم ٢٥٨١ ، وأوله: "أتدرون ما المفلس".

[٣] سورة هود الآية: ١١٤ .

[٤] شرح الطحاوية (٢/٤٤٢-٤٤٤).

[٥] سورة الحجرات الآية: ٩ .

[٦] سورة الحجرات الآية: ١٠.

[٧] سورة البقرة الآية: ١٧٨.

[٨] رواه أبو داود في كتاب السنة، باب في الشفاعة، حديث رقم ٤٧٣٩ ، والترمذي في كتاب القيامة باب منه، حديث رقم ٢٤٣٥ ، وأحمد في مسنده (٣/٢١٣).

وحديث أبي ذر: « من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق»[١]، وقوله في الصحابي عبد الله بن حمار الذي شرب الخمر فجلد فسبه بعض الصحابة، فقال: « لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله»[٢].

فهذه الأدلة تدل على أن أهل الكبائر ليسوا بكفار خارجين من الملة وغير مخلدين في النار.

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، حديث رقم ١٢٣٧ ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، حديث رقم ٩٤ .

[٢] أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة، حديث رقم ٦٧٨٠ .

المبحث الثالث

التوبة وشروطها

تعريف التوبة:

قال الإمام أبو بكر ابن العربي: « التوبة هي رجوع العبد عن حال المعصية إلى حال الطاعة »[1].

وقال ابن علان في دليل الفالحين: « وهي الرجوع، يقال تاب وأناب وآب بمعنى رجع، فالتائب إلى الله هو الراجع من شيء إلى شيء، راجع من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف المحمودة إلى طاعته ».

قال الايجي: « وأحسن ما قيل في التوبة شرعا: هو الرجوع من العبد عن الله إلى القرب إليه سبحانه وتعالى ».

قال القرطبي: « أسد العبارات وأجمعها في تعريف التوبة قول بعض المحققين: هي اجتناب ذنب سبق منك مثله حقيقة أو تقديرا »[2].

والتوبة واجبة وقد حث عليها الله سبحانه ونبينا محمد ﷺ، ورغب فيها في مواضع كثيرة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3]، وقال: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ...﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾[5].

---

[1] أحكام القرآن (١/٣٣٧)، مدارج السالكين (١/١٧٩).

[2] دليل الفالحين (١/٧٨).

[3] سورة النور الآية: ٣١ .

[4] سورة هود الآية: ٣ .

[5] سورة التحريم الآية: ٨ .

وقال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢)، وهناك آيات كثيرة.

أما السنة فنذكر منها:

حديث أبي هريرة ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: « والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »(٣).

وحديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ: « إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها »(٤).

وحديث أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: « إن الله عزوجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر »(٥).

---

(١) سورة نوح الآيتان: ١٠-١١ .

(٢) البقرة الآية: ١٩٩ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، حديث رقم ٦٣٠٧ ، ومسلم في كتاب الذكر، باب استحباب الاستغفار، حديث رقم ٢٧٠٢ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، حديث رقم ٢٧٥٩ .

(٥) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر، حديث رقم ٣٥٣٧ ، وأحمد في مسنده ١٥٣/٢ .

شروط التوبة:

مما ذكره العلماء ومنهم أبو بكر ابن العربي واتفقوا عليه أن شروط التوبة من الذنوب التي بين العبد وبين ربه ثلاثة:

١- الندم على ما سلف منه في الماضي.

٢- والإقلاع عنه في الحال.

٣- والعزم على أن لا يعود إليه في المستقبل[١].

فأما الندم فإنه لا تحقق التوبة إلا به، فإذ لم يندم على القبيح فذلك دليل على رضاه به وإصراره عليه.

وفي مسند الإمام أحمد قال ﷺ: « الندم توبة »[٢]، فيندم من حيث إنها معصية لا كمن يتوب لحفظ جاهه أو منصبه فلا يعتبر بندمه ».

وأما الإقلاع فتستحيل التوبة مع مباشرة الذنب، وهذا قد يترك اشتراطه ويحمل على من يستحيل منه وقوع مثل تلك المعصية، كمن زنى فجب فهذا استحال منه الإقلاع المكتسب، وكذا العزم على ألا يفعله في المستقبل، لأن فعله غير ممكن منه.

قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام في أماليه: « لا يجب على الإنسان ترك الشيء إلا إذا كان ممكنة فعله، إذ لا تكليف بترك المستحيل.

وأما العزم ألا يعود إليها مطلقا ــ أي: لا يعود إلى مثلها مطلقا ــ فلا يعود التائب من الرياء إلى مثله وهو الرياء، وإلا فالمعصية التي كان تلبس بها انقضت وزالت فلا يمكن العود إليها »[٣].

---

(١) عارضة الأحوذي (١١/١٣٤) مدارج السالكين (١/١٨٢).

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم ٤٢٥٢ .

(٣) انظر: دليل الفالحين (١/٧٨-٧٩).

وقد أضاف بعض العلماء شرطا رابعا وهو الإخلاص لله سبحانه وتعالى في التوبة، قال ابن عبد السلام: « استدرك السيف الآمدي على الناس قيدا آخر في التوبة التامة، وهو أن يكون الندم لله تعالى، احترازا مما إذا قتل شخص ولده فإنه يندم على الماضي لأجل كونه ولده، وأجيب: بأن هذا ليس استدراكا، إذا الإخلاص شرط في كل عباده، والناس يعنون بقولهم للتوبة ثلاثة أركان ما عدا الإخلاص، وأدرج ابن حجر الهيتمي هذا القيد [قيد الإخلاص] في الشرط الثاني وهو الإقلاع فقال: « ترك الذنوب لله سبحانه وتعالى، فلو تركه لخوف أو رياء أو غير ذلك من الأغراض التي لغير الله لم يعتد بتركه »[١].

يتبين مما سبق أن شروط التوبة في الذنوب التي بين العبد وبين ربه ثلاثة شروط، وبعضهم جعلها أربعة شروط: الندم على ما فات، والإقلاع عن الذنب، والعزم على أن لا يعود، وبعضهم زاد شرطا رابعا هو أن تكون التوبة خالصة لوجه الله لا رياء ولا سمعه، أو تكون خوفا من ذهاب منصبه ومكانته بين الناس، ومن لم يذكرها في شروط التوبة قال: إن الإخلاص شرط في كل عباده فلا بد من وجوده، والتوبة عبادة وقربة إلى الله سبحانه وتعالى.

وأما ما كان فيه حق للعباد فقد قال أبو بكر ابن العربي: « وأما الذنوب التي فيها حق للعباد فلا تكفره التوبة في حق المظلوم وإن كفرته في حق الله، حتى يتحلل من المظلوم أو يؤدي إليه مظلمته »[٢].

وهذا جعله العلماء شرطا رابعا، فإن كان حقا ماليا رده إلى صاحبه بعينه، إن كان موجودا أو بدله عند تلفه من قيمة أو مثل، وإن كان الحق غيبة أو قذف فيقول: ما

---

[١] انظر المرجع السابق (٧٩/١).

[٢] عارضة الأحوذي (١٣٥/١١).

قلته فباطل ونادم عليه ولا أعود إليه، وكذا شهادة الزور فيستحلها منه فيخبره بما قالـــه حتى يصح تحليله، ما لم يترتب عليه ضرر أعظم، فعند ذلك يستغفر له[1] ويدعوا له.

فتلخص مما سبق أن شروط التوبة: الندم على ما سلف، والإقلاع عن المعصيــــة، والعزم على أن لا يعود، والإخلاص لله تعالى في ذلك بأن يتوب لله سبحانه وتعـــالى، لا لخوف فوات منصب وجاه.

وإذا كان حقا للعباد عليه أن يعيده إليهم إن كان حقا ماليا أو عينيا، وإن كـــان في عرض عليه أن يتحللهم إن لم يكن هناك مفسدة أعظم، وهذا الذي قرره الإمام أبـــو بكر ابن العربي ـــ رحمه الله ـــ.

---

[1] انظر دليل الفالحين (١/٨٠).

الباب الثاني

النبوات

وفيه فصلان:

الفصل الأول : النبوة.

الفصل الثاني : المعجزات.

الفصل الأول

النبوة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : حقيقة النبوة.

المبحث الثاني : الحاجة إلى الأنبياء والرد علـــى الفلاســـفة في قولهم إن النبوة مكتسبة.

المبحث الثالث : الوحي.

المبحث الرابع : عصمة الأنباء.

المبحث الخامس : التفضيل بين الأنبياء.

المبحث الأول

حقيقة النبوة

النبوة في اللغة:

لها ثلاث اشتقاقات، إما أن تكون مشتقة من النبأ، فتكون بمعنى: الإخبار وإما أن يكون مشتقة من النبوة أو النباوة، وكلاهما يدل على الارتفاع فتكون بمعنى: الرفعة والعلو.

وإما أن تكون مشتقة من النبي، وهو بمعنى الطريق، فتكون النبوة بمعنى: الطريق إلى الله ﷻ.

قال أبو بكر بن العربي: « وأما النبي، فهو مهموز من النبأ وغير مهموز من النبوة، وهو المرتفع من الأرض، فهو ﷺ مخبر عن الله سبحانه وتعالى، رفيع القدر عنده، فاجتمع له الوصفان وتم له الشرفان »[1].

وقال ابن منظور: « النبأ: الخبر، والجمع أنباء، وإن لفلان نبأ، أي: خبرا، والنبي: المخبر عن الله، وقيل: النبي مشتق من النباوة، وهي الشيء المرتفع، والنبي أيضا: الطريق الواضح »[2].

وأما الرسول لغة فمشتق من الإرسال.

ومعناه البعث والتوجيه والإطلاق والامتداد، يقال: أرسلت فلانا في رسالة، أي: بعثته فهو مرسل ورسول، ويجمع على أرسل ورسل ورسلاء، وإنما سمي الرسل بذلك لأنهم مبعوثون من الله، وموجهون منه سبحانه، لتبليغ أوامره ووحيه لخلقه[3].

وأما تعريف النبي والرسول شرعا فتعددت أقوال العلماء في تعريفهما.

---

[1] أحكام القرآن ٣/٥٨١.

[2] لسان العرب ابن منظور ١٤/٢٩ مادة نبأ.

[3] لسان العرب مادة: (رسل) ٥/٢١١ .

قال أبو بكر ابن العربي: « ...الرسول فهو الذي تتابع خبره عن الله، وهو المرسَل ــ بفتح السين ــ ولا يقتضي التتابع »[١].

وقيل: « إن النبي والرسول مترادفان، فكل نبي رسول، وكل رسول نبي، قال به الجويني[٢] والآمدي[٣]»[٤].

وقيل إن: « **النبي**: هو من أوحي إليه بشرع و لم يؤمر بتبليغه، **والرسول**: هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه »[٥]، وهذا القول هو أشهر الأقوال، إلا أنه اعترض عليه أن الله سبحانه ذكر أن النبي والرسول كلاً منهما مرسل، وأن النبي مأمور أيضاً بالإبلاغ والبيان والدعوة.

بقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾[٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: « فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأه الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بشريعة من قبله و لم يرسله هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي ليس برسول.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾[٧].

---

[١] أحكام القرآن ٥٨١/٣.

[٢] إمام الحرمين، الإمام الكبير، شيخ الشافعية، أبو المعالي، عبد الملك ضياء الدين الجويني، الشافعي ثم النيسابوري، صاحب التصانيف، ولد في أول سنة تسع عشرة وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٤٦٩/١٨ .

[٣] سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد ابن سالم التغلبي الآمدي الحنبلي ثم الشافعي، توفي سنة ٦٣١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٦٤/٢٢ .

[٤] الإرشاد للجويني ص٣٥٥ ، غاية المرام للآمدي ص٣١٧.

[٥] شرح العقيدة الطحاوية ١٥٥/١.

[٦] سورة الحج آية:٥٢ .

[٧] سورة الحج الآية ٥٢ .

وقوله: ﴿ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ فذكر إرسالاً يعم النوعين، وقد خص أحدهما بأنـــه رسول، فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف، كنوح عليه السلام... ـ أما ـ الأنبياء فيأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الـــذي عندهم لكونهم مؤمنين بهم، كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول ـ وكذلك أنبياء بني إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة، وقد يوحى إلى أحد وحي خاص في قصة معينة، ولكن كانوا في شرع التوراة كالعالم الذي يفهمـــه الله في قضيـــة معنً يطابق القرآن، كما فهم الله سليمان الحكيم القضية التي حكم فيها هو وداود.

فالأنبياء ينبئهم الله، فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره، وهم ينبئون المؤمنين بهـــم مـــا أنبأهم الله به من الخبر والأمر والنهي، فإن أرسلوا إلى كفار يدعونهـــم إلى توحيـــد الله وعبادته وحده لا شريك له ـ، ولابد أن يكذب الرسل قوم، قال تعـــالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [١]، قـــال: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ [٢].

فإن الرسل ترسل إلى مخالفين، فيكذبهم بعضهم... فقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ دليل على أن النبي مرسل، ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق، لأنـــه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفون أنه حق، ولهذا قـــال ﷺ: " العلماء ورثة الأنبياء " [٣] »[٤].

---

[١] سورة الذاريات الآية: ٥٢ .

[٢] سورة فصلت الآية: ٤٣ .

[٣] أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٤/٥٧، ٥٨)، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جـاء في فضل الفقه على العبادة (٥/٤٨) وصححه الألباني في الجامع الصغير (٥/٣٠٢).

[٤] النبوات ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي[1] ـــ رحمه الله ـــ: « وآية الحج تبين أن ما اشتهر على ألسنة أهل العلم أن "النبي" هو من أوحي إليه وحي ولم يؤمر بتبليغه، وأن "الرسول" هو النبي الذي أوحي إليه وأمر بتبليغ ما أوحي إليه غير صحيح؛ لأن قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾[2] يدل على أن كلاً منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير.

واستظهر بعضهم أن النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول هو من لم يترل عليه كتاب، وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة، كما بينه تعالى بقوله: ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾[3] »[4].

فالقول الراجح الذي يظهر لي: أن "الرسول" هو من أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأن "النبي" هو من لم يترل عليه كتاب، وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله، وهذا الضابط يرد عليه من الاعتراضات أقل مما ورد على غيره، فيكون أحسن ما قيل في الفرق وبين النبي والرسول.

---

[1] هو أبو محمد المختار محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن أحمد نوح الجكني الشنقيطي، من الأئمة الفحول والأعلام البارزين في هذا العصر، فقيه أصولي، مفسر لغوي، حافظ لكثير من أشعار العرب وأنسابهم وأيامهم، ولد سنة ١٣٢٥هـ، ومات بمكة المكرمة سنة ١٣٩٣هـ. (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي) للشيخ عطية محمد سالم بآخر أضواء البيان.

[2] سور الحج الآية: ٥٢ .

[3] سورة المائدة الآية: ٤٤ .

[4] أضواء البيان: (٧٣٥/٥).

المبحث الثاني

الحاجة إلى الأنبياء والرد على الفلاسفة في قولهم إن النبوة مكتسبة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : الحاجة إلى الأنبياء

المطلب الثاني : رد أبي بكر على الفلاسفة أن النبوة مكتسبة.

المطلب الأول: الحاجة إلى الأنبياء.

لا شك أن النبوة ضرورة من ضرورات الحياة، لا غنى عنها بحال من الأحوال، فحاجة البشرية إلى النبوة كحاجة الحياة إلى الروح والماء لضمان، وليعلم أن العقل البشري مهما بلغ في كماله فإنه لا يكفي وحده لهداية البشر، لأن دوره في الحياة محدود، فلا بد له من نعمة، وهي إرسال الرسل إلى هذه البشرية الحائرة التي هي في أمس الحاجة إلى هداية الله، حتى تعرف شرع الله سبحانه وتعالى.

قال الإمام أبو بكر ابن العربي ــ رحمه الله ــ: « فإنه من المعلوم أنه بعث الرسل ليرشدوا إلى الأفعال المنجية من أهوال الآخرة التي لا يهتدي العقل إلى تفصيلها، ولا يتمكن من تحصيلها، وذلك يرجع إلى تفاصيل عاجلة في الدنيا، وأحكام آجله في الآخرة، وذلك مما لا يستقل به الخاطر »[١].

وقال في موضع آخر: « فليس يهب العلم نفسه، ولا يكون ذلك إلا من قبل العالم الذي لا يوهب علماً، ومن فائدة إرسال الرسل تمييزه المهتدي من الضال، حتى يهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة »[٢].

« ثم إن تفاوت العقول، وتباين الأفكار، واختلاف الأغراض، والمنازع ينشأ عنه تضارب الآراء وتناقض المذاهب، وذلك يفضي إلى سفك الدماء، ونهب الأموال، والاعتداء على الأعراض، وانتهاك الحرمات، فينتهي إلى تخريب وتدمير لا إلى تنظيم وحسن تدبير، ولا يرتفع ذلك إلا برسول يأتي بفصل الخطاب ويقيم الحجة ويوضح المحجة، وبنشر العدل، فاقتضت حكمة الله أن يرسل الرسل ويترل الكتب، رحمة الله

---

(١) العواصم من القواصم ٢/٢٤٥ ط الجزائر.

(٢) المرجع السابق ٢/٢٥٣ الجزائر.

بعباده، وإقامة للعدل بينهم، وإعانة لهم على أنفسهم، وأعذارا إليهم، فإنه لا حد أحب إليه العذر من الله »[1] .

قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[2]، وقال ﷺ: « تعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحب إليه المدمج من الله، ومن أجل ذلك وعد الجنة »[3].

ومنها: إزالة الخوف الحاصل عند إتيان العبد بالحسنات، لكون إتيانه بها تصرفا في ملك الله بغير إذنه، فلو لم يعلم العبد أن الله راض عنها طالب لها، لم يأمن أن يكون آتيا بغير ما يرضاه الله سبحانه، ولا سبيل إلى علم رضاه سبحانه بفعل ذلك إلا من طريق الرسل.

ومنها: تعليم الأخلاق الفاضلة الراجعة إلى الأشخاص، والسياسات الكاملة العائدة إلى الجماعات في المنازل والمدن.

ومنها: الأخبار بتفاصيل ثواب المطيع وعقاب العاصي، ترغيبا في الحسنات وتحذيرا من السيئات، وأصول التعامل بين الناس والله، وبينهم وبين بعضهم، إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة وهي كثيرة[4].

منها: إثبات حمده التام، فإنه يقتضي كمال حكمته، وأن لا يخلق خلقه عبثا ولا يتركهم سدى، ولا يؤمرون ولا ينهون، ولذلك نزه الله نفسه عن هذا في غير موضع من

---

[1] الحكمة من إرسال الرسل عند الرزاق عفيفي ص٥٨، ٥٩.

[2] سورة النساء الآية: ١٦٥ .

[3] رواه البخاري في كتاب التوحيد، حديث رقم ٧٤١٦ ، ومسلم في كتاب اللعان، حديث رقم ٣٧٤٣ .

[4] انظر: شرح المقاصد للتفتزاني (٥/١٨-١٩)، والعقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة أ. د. محد أبو الغيط ص١٤٨.

كتابه، وأخبر أن من أنكر الرسالة والنبوة، وأن يكون ما أنزل على بشر من شيء، فإنه ما عرفه حق معرفته، ولا عظمه حق تعظيمه، ولا قدره حق قدره، بل نسبه إلى ما لا يليق به، ويأباه حمده ومجده.

منها: إلهيته، وكونه إلها، فإن ذلك مستلزم لكونه معبودا مطاعا، ولا سبيل إلى معرفة ما يعبد به ويطاع إلا من جهة رسله.

منها: ثبوت "يوم الدين" وهو يوم الجزاء الذي يدين الله فيه العباد بأعمالهم خيرا وشرا، وهذا لا يكون إلا بعد ثبوت الرسالة والنبوة، وقيام الحجة التي بسببها يدان المطيع والعاصي.

منها: كونه معبودا، فإنه لا يعبد إلا بما يحبه ويرضاه، ولا سبيل للخلق إلى معرفة ما يحبه ويرضاه إلا من جهة رسله، فإنكار رسله إنكار لكونه معبودا »[1].

---

[1] انظر: مدارج السالكين (١/١٦٨).

المطلب الثاني: رد أبي بكر على الفلاسفة أن النبوة مكتسبة.

النبوة نعمة من الله سبحانه وتعالى، ينعم بها على من يشاء من عباده، ولهذا فلا يبلغها أحد بعلمه ولا بكشفه ولا يستحقها باستعداد تهذيب نفس، كما يقول ذلك الفلاسفة[١]، بل النبوة فضل ولطف ونعمة وإحسان من الله سبحانه وتعالى، ينعم بها على من يشاء من عباده.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾[٢].

وهذا قول عامة المسلمين ومنهم الإمام أبو بكر ابن العربي.

فقال ـــ رحمه الله ـــ: « إن النبوة ليست بصفة ذاتية للنبي، وإنما هي عبارة عن قول الله تعالى بلغ إلى خلقي كلامي، وهذا مما لا يصل إليه أحد بعمل، ولو كان أوفى من عمل الملائكة والآدميين، وإنما يأتي موهبة من الله »[٣]

وقد أورد أبو بكر لهم عدة شبه ورد عليها ـــ رحمه الله ـــ فقال:

---

(١) قال شيخ االإسلام ابن تيمية: « وهؤلاء الملاحدة من المتفلسفة والقرامطة ومن وافقهم يقولون إن النبوة لها ثلاث خصائص، من قامت به فهو نبي... وكثير منهم يقول: إنما مكتسبة...

الخاصية الأولى: أن تكون له قوة قدسية وهي قوة الحدس، بحيث يحصل له من العلم بسهولة ما لا يحصل لغيره إلا بكلفة شديدة...، وحاصل الأمر أنه أذكى من غيره وأن العلم عليه أيسر من غيره.

الخاصية الثانية: قوة التخييل والحس الباطن، بحيث يتمثل له ما يعلمه في نفسه، فيراه ويسمعه، فيرى في نفسه صورا نورانية هي ملائكة الله، ويسمع في نفسه أصواتاهي عندهم كلام الله، من جنس ما يحصل للنائم في منامه، ومن جنس ما يحصل لبعض أهل الرياضة...

الخاصية الثالثة: أن تكون له قوة نفسانية يتصرف بها في هيول العالم، كما أن العائن له قوة نفسانية يؤثر بها في المعين...».

انظر: الصفدية ١/٥-٦-٧ ملخصا.

(٢) سورة الحج الآية: ٧٥ .

(٣) العواصم من القواصم (٤٩/٢) ط الجزائر.

■ الشبهة الأولى:

« قولهم إن العقول ترشد إلى السياسة والقوانين الحكيمة وقانون التدبير الجامع للمصالح المنتظمة لعامة الخلق، وإصلاح الأخلاق وتطهير الأبدان »[١] [٢].

الرد على الشبهة الأولى:

رد ــ رحمه الله ــ على هذه الشبهة بوجهين:

الوجه الأول: « أن هؤلاء ما قدروا الله حق قدره ولا عظموه حق تعظيمه، فقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ [٣].

وجه الدلالة من هذه الآية أن الله أخبر أن من أنكر الرسل لم يعلم الله حق علمه ».

والوجه الثاني: قال ــ رحمه الله ــ: « أما مرتبة العقل فغير منكرة في التمييز والتحصيل، فأما أن يكون العقل محصلا لجميع المعلومات، فهذه دعوى حمقى...، وكل ذي علم يدعيه، من أي العلوم كان، يعلم قطعا أنه لم يحط العقل به من أوليته حتى كانت العلماء، وهم الأنبياء الذين يطرقون بيانه، ويوضحون قانونه.

وخذ علم الهيئة، فليس في العقل استقلال أن يحيط بمدار الأفلاك وترتيبها، وطلوع الكواكب وغروبها، في مجار مختلفة منها، وتمييز المنتقل من الثابت، وتفصيل انتقاله، وإن أدرك نفس الانتقال، ويرى ما ذكروه قبل، كيف كانت كلها لا برهان عليها »[٤].

---

[١] العواصم من القواصم (٢/٢٢٧) ط/ الجزائر.

[٢] فالفلاسفة حينما جعلوا إصلاح الخلق عامة وإصلاح البشر من مقدور الحكماء فإن هذا يعني الغنية بهم عن الرسل.

[٣] سورة الأنعام الآية: ٩١ .

[٤] العواصم من القواصم (٢/٢٣٣) .

■ **الشبهة الثانية:**

قال أبو بكر: « إن قوانين وإصلاح البشر والتدبير موجودة في كتب الحكماء بسيرهم في أنفسهم ووصاياهم لغيرهم تتضمن جميع ذلك، فمن أراد النظر فيها فقد جليت له »[1].

الرد على الشبه الثانية:

بين أن أصل ذلك مأخوذ من الأنبياء، فقال: « وأما الذي زعموه من أوضاع الحكماء في السياسات، فإن أصله من الأنبياء، وما أبانته من الشرائع، وحثت عليه من المكارم، وزجرت عنه من الدناءات، بما أوضحت من القوانين، ووضعت م المصالح ثم درس منها ما درس، وبقي منها ما بقي، فبنوا عليه، وأضافوه إليه، فمنه ما نقلوه على وجهه، ومنه ما أدركوه بما وافق الأغراض، وقام بداعية الانزجار والانتهاض، وجرى في سنن المنى أو الهوى »[2].

الشبهة الثالثة:

قال أبو بكر: « ولو عولنا في إدراك الحقائق على الأنبياء ما كنا نقف على حقيقة أبدا، فإنهم يقولون نحن رسول ﷺ، ويأتون بأفعال غريبة تخرج عن حد العادة، فيتحدون بها على صدقهم، وتلك الأمور الغريبة التي يأتون بها داخلة في طوق البشر، محمولة ما على خاصة أدركوها أو على وجوه من الحيل »[3].

الرد على الشبهة الثالثة:

قال رحمه الله: « وأما قولهم: أن ما يأتي على أيديهم من الأفعال الغريبة لا يوثق به، لوجدنا في الخواص أفعالا غريبة، فلا معنى له فإن المعجزات لا بد أن تكون خارقة

---

(١) العواصم من القواصم (٢/٢٢٧) ط/ الجزائر.

(٢) العواصم من القواصم (٢/٢٣٦) ط/ الجزائر.

(٣) نفس المرجع (٢/٢٢٧ ، ٢٢٨) ط/ الجزائر.

للعادة، خرقا يتجاوز الأوهام المتعلقة بالحيل والخواص، مما يعلم أنها من أفعال العباد خاصة، أو لا نرى أن إبراء الأكمة، وإحياء الموتى لا ينال بحيلة، ولا يعد في خاصة، ومما عرف الباري إلا بأفعاله، التي لا يقدر عليها سواه، فما عرف به المرسل به، يعرف الرسول، وهذه نكتة بديعة، لم أزاحم عليها فأفهموها واعتبروها تلقوها كذلك »[1].

قال ابن القيم في تضمن سورة الفاتحة من الرد على منكري النبوات وذلك من عدة أوجه، نسوق أهمها ومنها:

١- إلاهيته، وكونه إلها، فإن ذلك مستلزم لكونه معبودا مطاعا ولا سبيل إلى معرفة ما يعبد به ويطاع إلا من جهة رسل.

٢- كونه ربا، فإن الربوبية تقتضي أمر العباد ونهيهم وجزاء محسنهم بإحسانه وسيئهم بإساءته، هذا حقيقة الربوبية، وذلك لا يتم إلا بالرسالة والنبوة.

٣- كونه رحمانا رحيما، فإن من كمال رحمته أن يعرف عباده نفسه وصفاته، ويدلهم على ما يقربهم إليه، ويباعدهم منه، ويثبتهم على طاعته ويجزيهم بالحسن، وذلك لا يتم إلا بالرسالة والنبوة، فكانت رحمته مقتضية لها.

٤- ثبوت "يوم الدين" وهو يوم الجزاء، الذي يدين الله فيه العباد بأعمالهم خيرا وشرا، وهذا لا يكون إلا بعد ثبوت الرسالة والنبوة، وقيام الحجة التي بسببها يدان المطيع والعاصي... »[2].

---

[1] العواصم من القواصم (٢/٢٣٨) ط/ الجزائر.

[2] ذكر عشرة أوجه، راجع مدارج السالكين ١/٦٨-٦٩ .

المبحث الثالث

الوحي

تعريف الوحي في اللغة:

هو الإعلام السريع الخفي، يقال في فعله وحى وأوحى[1].

وأما الشرع:

فقال الحافظ ابن حجر: « هو الإعلام بالشرع »[2].

ابتداء الوحي:

أول ابتداء الوحي للنبي ﷺ الرؤيا الصالحة، فكان ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح في ظهورها وجلائها، ثم نزل الوحي على رسول الله ﷺ في غار حراء.

قال أبو بكر ــ رحمه الله ــ: « وابتداء الوحي كان مناما وكان يقظة، لتتوطد نفس النبي ﷺ وتطمئن »[3]، ويشهد لهذا:

حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: « أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح »[4].

أنواع الوحي:

لقد اختلف نزول الوحي على رسول الله ﷺ على عدة أنواع، فأحيانا يأتيه الوحي على صورة رجل، ويأتيه على هيئة رؤيا يراها فتأتي مثل فلق الصبح، ويأتي أحيانا الملك جبريل على صورته التي خلق الله عليها، وأحيانا يأتيه مثل صلصلة الجرس.

---

[1] انظر: لسان العرب (١٥/٢٤١) مادة (وحي)، ومدارج السالكين (١/٣٩).

[2] فتح الباري (١/٩).

[3] عارضة الأحوذي (١٢/٢٤٩).

[4] أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ وقول الله: ﴿ إنا أوحينا إليك... ﴾، حديث رقم ٣ ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم ١٦٠ ، واللفظ للبخاري.

قال الإمام أبو بكر ابن العربي: « اختلف نزول الوحي على النبي ﷺ، فقد جاء أنه على أربعة أوجه:

يأتيه الملك في صورة الرجل ويمثل كلامه، وأحيانا يأتيه في مثل صلصة الجرس وهو أشده عليه، يعني: من الأول، وأحيانا يأتيه جبريل في صورته له ستمائة جناح قد ملأ الأفق، وهو أشد من الآخر، وأحيانا يسمعه كدوي النحل »[1].

فقد تبع أبو بكر ابن العربي علماء الأمة في تقسيم نزول الوحي على رسول الله ﷺ على أربعة أوجه:

الوجه الأول:

« **أن يأتيه الملك في صورة رجل ويمثل كلامه** »، ودليل هذا حديث جبريل، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: « بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، ما يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، فأقبل حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ، وركبته تمس ركبته، قال: يا محمد، اخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، فقال: صدقت، فتعجبنا من سؤاله وتصديقه.

ثم قال: فما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وحده وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت والجنة والنار، وبالقدر خيره وشره، فقال: صدقت.

ثم قال: فما الإحسان؟ قال: أن تعامل الله كأن تراه، فإنك إن لم تكن تراه، فإنه يراك، قال: صدقت.

---

[1] عارضة الأحوذي (١٢/٣٣-٣٤).

قال: فأخبرني عن الساعة، فقال: ما المسؤول عنها بأعلم بها من السائل، قال: صدقت.

قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: أن تلد الأمة ربها، وأن ترى العراة الحفاة رعاة الشاة يتطاولون في بنيان المدر، قال: صدقت.

ثم انطلق فلما كان بعد ثالثة قال لي رسول الله ﷺ: يا عمر هل تدري من الرجل؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم، وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها، إلا في صورته هذه »[(١)].

الوجه الثاني:

« **يأتيه مثل صلصة الجرس وهو أشده عليه يعني من الأول** »، ودليله حديث عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ: « كيف يأتيك الوحي؟ فقال: أحيانا يأتيني مثل صلصة الجرس، وهو أشده على فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا، فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة: ولقد رأيته نزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليفصد عرقا »[(٢)].

الوجه الثالث:

« **يأتيه جبريل في صورته له ستمائة جناح قد ملأ الأفق، وهو أشد من الآخر** »، والدليل ما رواه البخاري وذكر سنده، ثم قال عن الشيباني: « قال: سألت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل... ، حديث رقم ٥٠ ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم ١ .

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، حديث رقم ٢ ، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ، حديث رقم ٢٣٣٣ .

زرا عن قوله " فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى "، قال حدثنا عبد الله أن محمدا ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح »[1].

الوجه الرابع:

« **أنه يسمع له دويا كدوي النحل** »، ودليله ما رواه الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: « كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدوي النحل، فأنزل عليه يوما فمكثنا ساعة فسرى عنه، الحديث [2]»[3].

هذه الأربعة الأوجه تكون بواسطة الملك، ولكن هناك أنواع آخر للوحي وهي رؤيا المنام، كما مر معنا من حديث عائشة " أول ما بدئ رسول الله ﷺ بالرؤيا الصالحة يراها فتكون مثل فلق الصبح " .

وكذلك الإلقاء في روع النبي ﷺ، كما جاء في صحيح ابن حبان أنه قال ﷺ: « إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب »[4]، وفي ذلك أيضا تكليم الله لرسله فقد كلم الله عبده محمدا ﷺ عند ما عرج به إلى السماء.

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾، حديث رقم ٤٨٥٧ ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معنى قول الله: ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى...** ﴾، حديث رقم ١٧٤ .

[2] رواه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة المؤمنين، حديث رقم ٣١٧٣ ، وأحمد في مسنده (٣٤/١)، وقد ضعفه الألباني في "ضعيف الجامع".

[3] عارضة الأحوذي (٣٣/١٢ ــ ٣٤).

[4] تفسير ابن كثير (٤/ ١٢١).

المبحث الرابع

عصمة الأنبياء

تعريف العصمة في اللغة:

العصمة في اللغة: المنع.

قال ابن فارس: « العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله واحد، ومن ذلك العصمة: أن يعصم الله تعالى عبده من سوء ما يقع فيه، واعتصم العبد بالله إذا امتنع »[1].

وقيل هي في الاصطلاح: « حفظ الله أنبياءه ورسله من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات النفسية والنصرة والثبات في الأمور وإنزال السكينة »[2].

وقد اختلفت أقوال الناس ومذاهبهم في العصمة، مع اتفاقهم على عصمتهم في تبليغ الرسالة، إلا من شذ منهم ممن لا يعتبر خلافه ولا وفاقه، وهم الميمونية[3] من الخوارج[4].

قال الرازي[5]: « واجتمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة إلا الفضيلة من الخوارج، فإنهم يجوزون الكفر على الأنبياء، وذلك لأن عندهم يجوزون صدور الذنوب عنهم، وكل ذنب فهو كفر عندهم، فبهذا جوزوا صدور الكفر عنهم.

والروافض فإنهم يجوزون عليهم إظهار كلمة الكفر على سبيل التقية، أما ما يتعلق بالشرائع والأحكام من الله تعالى فأجمعوا على أنه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة في هذا الباب لا بالعمد ولا بالسهو وإلا لم يبق الاعتماد على شيء من الشرائع.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/٣٣١) مادة (عصم).

(٢) فتح الباري (١١/٥٠١).

(٣) الميمونية: فرقة من فرق الخوارج أصحاب ميمون بن خالد. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/١٤٩).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/١٧٧)، والملل والنحل للشهرستاني (١/١٤٩).

(٥) الرازي هو: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين المعروف بـ"الرازي"، القرشي، البكرين الطبرستاني، صاحب التصانيف، ولد سنة ٥٤٤هـ، واعترف في آخر عمره بما كان عليه من انحراف عن الحق، وتوفي بهراة يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦هـ. انظر: السير (٢١/٥٠٠) ترجمة رقم ٢٦١.

أما ما يتعلق بالفتوى فأجمعوا على أنه لا يجوز تعمد الخطأ، فأما على سبيل السهو فقد اختلفوا فيه.

أما ما يتعلق بأفعالهم وأحوالهم فقد اختلفوا فيه[١].

فقد ذهب أبو بكر ابن العربي إلى أنهم معصومون من الكبائر والصغائر، فقال: « إن الأنبياء معصومون من الكبائر إجماعا وفي الصغائر اختلاف، وأنا أقول إنهم معصومون عن الصغائر والكبائر »[٢].

اختلف الناس في عصمة الأنبياء فيما يتعلق بأفعالهم وأحوالهم.

فمنهم من يرى عصمة الأنبياء عند الكبائر والصغائر عد الكذب وهذا قول الكرامية وبعض الخوارج[٣].

ومنهم من جوز وقوع الكبائر من الأنبياء سهوا لا عمدا وهذا ما عليه الرازي من الأشاعرة[٤].

ومنهم من يرى وجوب عصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر سواء كانت عمدا أو سهوا قبل النبوة أو بعدها فلا يقع منهم معصية البتة، وهذا قول القاضي عياض[٥].

ومنهم من يرى أن الأنبياء معصومون من الصغائر والكبائر بعد النبوة وهذا عليه بعض الأشاعرة كابن مجاهد والماتريدية[٦].

ومنهم من يرى أن الأنبياء معصومون من الكبائر مطلقا ومن الصغائر عمدا وهذا

---

[١] عصمة الأنبياء الرازي ص ١-٢ .

[٢] أحكام القرآن (٥١/٤) ، انظر أيضا: (٣٠/١ ــ ٣١) ، وعارضة الأحوذي (١٠١/١٠) ــ (٢٤/١٢)، ١٧٤ .

[٣] الفصل ابن حزم (٥/٤) .

[٤] كتاب عصمة الأنبياء للرازي ص٣ .

[٥] الشفاء (٨٠٩/٢-٨٤٨) ، والقاضي عياض هو: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي ويعرف بالقاضي عياض، أبو الفضل محدث فقيه حافظ توفي سنة ٥٤٤هـ، انظر معجم المؤلفين (١٦/٨).

[٦] الفصل (٥/٤) .

ما عليه طائفة من الأشاعرة والماتريدية، ذكره التفتزاني[1].

ومنهم من يرى أن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر، لكن لا يقرون عليها ويرجعون ويتوبون منها، وتكون منـزلتهم بعدها أعظم عند الله سبحانه، وهذا ما عليه شيخ الإسلام[2] والجويني من الأشاعرة وأبو هاشم من المعتزلة[3].

ونسب هذا القول إلى الجمهور شيخ الإسلام فقال: « فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول »[4].

وقد نقل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي أن القول بعصمتهم من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الأصول.

قال ـــ رحمه الله ـــ: « وأن أكثر أهل الأصول على جواز وقوع الصغائر غير صغائر الخسة، قلت: وصغائر الخسة مثل سرقة لقمة وتطفيف حبة »[5].

ثم قال ـــ رحمه الله ـــ: « الذي يظهر لنا أنه الصواب في هذه المسألة أن الأنبياء صلوات وسلامه عليهم لم يقع منهم ما يزري بمرتبتهم العلية، ومناصبهم السامية، ولا يستوجب خطأ منهم ولا نقصا فيهم صلوات الله وسلامه عليهم، ولو فرضنا أنه وقع منهم بعض الذنوب إلا أنهم يتداركون ما وقع منهم بالتوبة والإخلاص، وصدق الإنابة إلى الله حتى

---

[1] شرح المقاصد (٥/٥١) .

[2] مجموع الفتاوى (١٠/٢٩٢ ـــ ٢٩٣).

[3] شرح المقاصد (٥/٥١).

[4] مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/٤١٩).

[5] أضواء البيان (٤/٥٣٥) .

ينالوا بذلك أعلى الدرجات، فتكون بذلك درجاتهم أعلى من درجة من لم يرتكب شيئا من ذلك، ومما يوضح هذا قوله تعالى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾[1]، فانظر أي أثر يبقى العصيان والغي بعد توبة الله عليه واجتبائه، أي: اصطفائه إياه، وهدايته له، ولا شك أن بعض الزلات ينال صاحبها بالتوبة منها درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب تلك الزلة، والعلم عند الله تعالى »[2].

فقد وافق ابن العربي أهل السنة في أن الأنبياء معصومون في تبليغ الرسالة من الوقوع في الكبائر وخالفهم في الصغائر، فإنه رجح أنهم معصومون منها.

وقد استدل أهل السنة وجماهير العلماء على قولهم أنهم معصومون من الكبائر دون الصغائر بما جاء صريح في القرآن من معصية آدم بأكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الأكل منها، قال تعالى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[3]، والآية في غاية الوضوح والدلالة على المراد، فقد صرحت بعصيان آدم ربه.

وموسى أراد نصرة الذي من شيعته فوكز خصمه القبطي فقضى عليه، ﴿ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[4]، فقد اعترف موسى بظلمه لنفسه، وطلب من الله أن يغفر له، وأخبر الله بأنه غفر له.

وداود ﷺ تسرع في الحكم قبل سماع قول الخصم الثاني، فأسرع إلى التوبة فغفر الله له ذنبه: ﴿ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ۩ ۝ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ ﴾[5].

---

[1] سورة طه الآية: ١٢١ .

[2] نفس المرجع ٤/٥٣٥.

[3] سورة طه الآية: ١٢١.

[4] سورة القصص الآية: ١٥ ــ ١٦ .

[5] سورة ص الآية: ٢٤-٢٥ .

ونوح دعا ربه في ابنه الكافر: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[1]، فلامه ربه على مقالته هذه، وأعلمه أنه ليس من أهله، وأن هذا منه عمل غير صالح: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[2]، فاستغفر ربه من ذنبه، وتاب وأناب: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[3].

ونبينا محمد ﷺ عاتبه ربه في أمور: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4]، نزلت بسبب تحريم الرسول ﷺ ـ العسل على نفسه، أو تحريم مارية القبطية[5].

وعاتبه ربه بسبب عبوسه في وجه الأعمى ابن أم مكتوم، وانشغاله عنه بطواغيت الكفر يدعوهم إلى الله، فلم يقبل على الأعمى الراغب فيما عند الله، هو الذي كان ينبغي أن يكون من الرسول ﷺ: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴾[6].

وقبل الرسول ﷺ ـ من أسرى بدر الفدية فأنزل الله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[7].

---

[1] سورة هود الآية: ٤٥ .

[2] سورة هود الآية: ٤٦ .

[3] سورة هود الآية: ٤٧ .

[4] سورة التحريم الآية: ١ .

[5] انظر: تفسير ابن كثير (٤/٤١٢) .

[6] سورة عبس الآيات: ١-٤ .

[7] سورة الأنفال الآية: ٦٨ .

ومن الأدلة التي قال بها من قال بعصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر:

الدليل الأول:

أنه إن لم يكن معصوما من الكبائر لم يوثق بما يبلغونه، ونحن مأمورون باتباعهم: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[١]، والله أمرنا بالتأسي بهم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[٢]، والأمر باتباع الرسول يستلزم أن تكون اعتقادية، وأفعاله وأقواله جميعها طاعات[٣].

الرد على هذا الدليل:

اتفق المسلمون على أنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله، وهذه العصمة معلومة بدليل الشرع، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾[٤].

ومن جهة أخرى فالمعصية لا تكون خافية غير ظاهرة، فإن الله ينبه رسله وأنبياءه إلى ما وقع منهم من مخالفات، ويوفقهم للتوبة منها من غير تأخير، بل يكون التأسي بهم في الإسراع بالتوبة عند الوقوع في المعصية وعدم التسويف.

قال شيخ الإسلام: « ومعلوم أن التأسي بهم إنما هو مشروع فيما أقروا عليه دون ما نهوا عنه ورجعوا عنه »[٥].

---

[١] سورة آل عمران الآية: ٣١ .

[٢] سورة الأحزاب الآية: ٢١ .

[٣] شرح المقاصد للتفتازاني (٥/٥١).

[٤] سورة الحاقة الآيات: ٤٤-٤٦

[٥] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/٢٩٣).

الدليل الثاني:

أن الذنوب تنافي الكمال وأنها نقص، وإن تاب منها، وأنها توجب التنفير منهم، وأنهم غير مخلصين، لأن المذنب قد أغواه الشيطان، والمخلص ليس كذلك لقوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[1][2].

الجواب عن هذا الدليل:

أجاب عن هذه الشبهة شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة فقال: «فكون النبي لا يتوب إلى الله فينال محبة الله وفرحة بتوبته، وترتفع درجته بذلك، ويكون بعد التوبة التي يحبها الله منه خيرا مما كان قبلها، فهذا مع ما فيه من التكذيب للكتاب والسنة غض من مناصب الأنبياء، وسلبهم هذه الدرجة، ومنع إحسان الله إليهم، وتفضله عليهم بالرحمة والمغفرة، ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره أو تاب بعد ذنب، فهو مخالف لما علم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن من المعلوم أن الصحابة الذين آمنوا برسول الله ﷺ بعد كفرهم وهداهم الله بعد ضلالهم وتابوا إلى الله بعد ذنوبهم أفضل من أولادهم الذين ولدوا على الإسلام، وهل يشبه بني الأنصار بالأنصار وبني المهاجرين بالمهاجرين إلا من لا علم له»[3].

والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها، وحينئذ فما وصفوهم إلا بما فيه كما لهم، فإن الأعمال بالخواتيم مع أن القرآن، والحديث وإجماع السلف معهم.

---

[1] سورة الحجر الآية:٣٩-٤٠ .

[2] انظر: شرح المقاصد (٥/٥٢).

[3] انظر: منهاج السنة ٣٠٢/١ ، ومجموع الفتاوى ٢٩٢/١٠-٢٩٣ .

والمنكرون لذلك يقولون في تحريف القرآن، ما هو من جنس قول أهل البهتان ويحرفون الكلم عن مواضعه[١].

وأما كونهم غير مخلصين فإن هذا منتف بالإجماع وبقوله تعالى في إبراهيم ويعقوب: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾[٢]، وفي يوسف: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[٣][٤].

---

[١] انظر: منهاج السنة ٣٠٢/١ ، ومجموع الفتاوى ٢٩٣/١٠ .

[٢] سورة ص الآية: ٤٦ .

[٣] سورة يوسف الآية ٢٤ .

[٤] انظر: شرح المقاصد (٥٢/٥).

المبحث الخامس

المفاضلة بين الأنبياء

تمهيد:

خلق الله الخلق وفاضل بينهم، وقد فضل واختار من أرضه مكة فجعلها مقر بيته العتيق الذي من دخله كان آمنا، وجعل أفئدة الناس تهوي إليه، وأوجب على الناس الحج إليه من استطاع إليه سبيلا، وحرم صيده وقطع شجره، وجعل الأعمال الصالحة فيه مضاعفة، وجعل إرادة الظلم فيه مستحقة العذاب الأليم: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، واختار من الشهور شهر رمضان، ومن الليالي ليلة القدر، ومن الأيام يوم عرفة، ومن أيام الأسبوع يوم الجمعة، وفاضل الله بين الملائكة، فاختار منهم الملائكة الذين يحملون رسالته إلى رسله وأنبيائه، واصطفى الله من بني آدم الأنبياء، فالأنبياء أفضل البشر، وأفضل الأنبياء الرسل: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[2][3].

وقد أجمعت الأمة على تفضيل الأنبياء[4] على غيرهم من الصديقين والشهداء والصالحين.

ويدل على تفضيلهم قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ

---

(١) سورة الحج الآية ٢٥ .

(٢) سورة الحج الآية: ٧٥ .

(٣) انظر: الرسل والرسالات الأشقر ص ٢٠٩.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٦٦/١١).

وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١).

التفاضل بين الأنبياء:

أخبرنا الحق ــ تبارك وتعالى ــ أنه فضل بعض النبيين على بعض، كما قال جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ (٢).

والرسل بعد ذلك متفاضلون فيما بينهم، كما قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ﴾ (٣).

أولو العزم من الرسل هم أفضل الرسل:

وأفضل الرسل والأنبياء خمسة: محمد ﷺ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (٤)، وقد ذكرهم الله في كتابه في أكثر من موضع فقال: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ (٥).

---

(١) سورة الأنعام الآيات: ٨٣ ــ ٨٦ .

(٢) سورة الإسراء الآية: ٥٥ .

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٥٣ .

(٤) سورة الأحقاف الآية: ٣٥ .

(٥) سورة الشورى الآية: ١٣ .

وفي قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾[(١)].

وأفضلهم سيدنا محمد ﷺ، خصه الله دون غيره بست لم يعطها أحد من الأنبياء قبله، فقد جاء في الحديث: « فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون »[(٢)].

وقال ﷺ: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع »[(٣)]، وفي أول حديث الشفاعة: « أنا سيد الناس يوم القيامة »[(٤)].

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم »[(٥)].

وعندما يبعث الله الأولين والآخرين في يوم الدين يكون رسولنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه سيد ولد آدم، بيده لواء الحمد، والأنبياء والمرسلون في ذلك اليوم تحت لوائه، يقول الرسول ﷺ: « أنا سيد ولدم آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٧ .

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة في صحيحه، كتاب المساجد، باب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم ٥٢٣ .

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ، حديث رقم ٢٢٧٨ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﷻ: **﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ﴾**، حديث رقم ٣٣٤٠ ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، حديث رقم١٩٤ ، وهو جزء من حديث الشفاعة الطويل.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، حديث رقم ٢٢٧٦ .

ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول شافع، وأول مشفع ولا فخر »[١].

وعندما يشتد الكرب بالناس في ذلك اليوم يستشفع الناس بالرسل العظام ليشفعوا إلى الله ليقضي بين عباده، فيتدافعها الرسل، كل واحد يقول: اذهبوا إلى غيري، حتى إذا أتوا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، قال: « اذهبوا إلى محمد عبد الله غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر »[٢].

موقف الإمام ابن العربي من الأحاديث التي ورد وفيها النهي عن التفاضل بين الأنبياء:

وردت أحاديث تنهى عن التفاضل بين الأنبياء، ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ: « لا تفضلوني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فأجد موسى باطشا بساق العرش، فلا أدري: هل أفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله »[٣].

---

[١] رواه الترمذي من حديث أبي هريرة، في كتاب المناقب، باب سلوا الله لي الوسيلة، حديث رقم ٣٦١٥ ، وابن ماجه بهذا اللفظ: « أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر » في كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، حديث رقم ٤٣٠٨ من حديث أبي سعيد الخدري، وهو جزء من حديث رواه أحمد في مسنده من حديث ابن عباس (١/٢٨١).

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ذرية من حملنا مع نوح، حديث رقم ٤٧١٢ ، ولفظه: « اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتون محمدا ﷺ، فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر... »، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، حديث رقم ١٩٣ .

[٣] جزء من قصة أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهودي، حديث رقم ٢٤١١ ، بلفظ: « لا تخيروني »، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل موسى، حديث رقم ٢٣٧٢ بلفظ: « لا تخيروني ».

وحديث: « لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى »[١]، وفي رواية: « من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب ».

قال أبو بكر في قوله "من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كـذب": « قيل ضمير "أنا" يرجع إلى قول "من قال"، وهذا ضعيف، وإنما هو راجع إلى النبي ﷺ، ثم كان هذا كله من عدم تفضيل نفسه على الأنبياء ».

وأورد عدة أقوال في ذلك فقال:

« ١- كان قبل أن يعرف شريف منـزلته ويخبر بعلو درجته.

٢- وقيل: منع الناس من هذا الإطلاق، وأذن له أن يخبر عن نفسه بحقيقة حاله وعلو مرتبته، بوجوب علم ذلك والإيمان به .

٣- وقيل: إن ذلك منه على رسم التواضع، ثم قال: والأول أصلح[٢]، وزاد قول رابعا وخامسا عند حديث: « لا تفضلوا بين الأنبياء، الحديث ».

٤- قد ارتفع هذا في خاصته محمد وبقي في حق باقيهم صلوات الله عليهم.

٥- وقيل: هذا نهي للناس أن يذكروا ذلك في الأنبياء إلا أن يكون فيما يقرءونه أو يروونه في صحيح الحديث، لا فيما ينشئونه من قبل أنفسهم أو فيما يأتون فيه من الأحاديث الباطلة والضعيفة »[٣].

فنجد أبا بكر بن العربي مال إلى ترجيح القول الأول، وهو أن النهي عن التفضيل قبل أن يعرف بشريف مترلته وعلو مكانته.

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿ **وإن يونس لمن المرسلين** ﴾، حديث رقم ٣٤١٣ ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس ﷺ، حديث رقم ٢٣٧٦ .

[٢] عارضة الأحوذي (١٢/١٢٤).

[٣] عارضة الأحوذي (١١/٢٨٣).

قال ابن أبي العز الحنفي: « وقال بعض العلماء: وينبغي أن يحمل النهي الذي ورد في الأحاديث على النهي عن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية والانتقاص، أو كان هذا التفضيل يؤدي إلى خصومة أو فتنة، يدلنا على هذا سبب الحديث، ففي صحيح البخاري وغيره عن أبي هريرة ﷺ قال: « استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمدا ﷺ على العالمين ــ في قسم يقسم به ــ، فقال اليهود: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده، فلطم اليهودي، فذهب اليهودي عند ذلك إلى النبي ﷺ، فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال: لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله »[1].

وفي رواية عند البخاري: « لا تفضلوني على الأنبياء »[2]، وفي رواية: « لا تخيروا بين الأنبياء »[3] [4].

قال ابن حجر في هذه المسألة: « قال العلماء في نهيه عن التفضيل بين الأنبياء: إنما نهى عن ذلك من يقوله برأيه، لا من يقوله بدليل، أو من يقوله بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضول، أو يؤدي إلى الخصومة والتنازع، أو المراد لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يترك للمفضول فضيلة...، أو الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنما هي في مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الأنبياء على بعض بالمخايرة، لأن المخايرة إذا وقعت

---

[1] سبق تخريجه.

[2] لم أقف على هذه الرواية بهذا اللفظ عند البخاري وإنما هي: « لا تفضلوا بين أنبياء الله »، أخرجها في كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣٤١٤ .

[3] هذه الرواية أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب إذا لطم المسلم يهوديا عند الغضب، حديث رقم ٦٩١٦ .

[4] انظر: شرح الطحاوية (١٥٩/١).

بين أهل دينين لا يؤمن أن يخرج أحدهما إلى الازدراء بالآخر فيفضي إلى الكفر، فأما إذا كان التخيير مستندا إلى مقابلة الفضائل لتحصيل الرجحان فلا يدخل في النهي »[١].

فعموما يتبين لنا مما سبق أن لا تعارض بين الآيات التي نصت على تفضيل بعض الأنبياء على بعض، وبين الأحاديث التي نهت عن التفضيل بين الرسل.

---

[١] فتح الباري ٦/٤٤٦.

الفصل الثاني

المعجزات

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : حقيقة المعجزة.

المبحث الثاني : أنواع المعجزات.

والمبحث الثالث : كرامات الأولياء.

المبحث الأول

حقيقة المعجزة

حقيقة المعجزة:

قال الزبيدي: « معجزة النبي ﷺ: ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء للمبالغة، والجمع معجزات »[١].

تعريف المعجزة اصطلاحا:

قال أبو بكر ابن العربي: « فإن المعجزة لا تخلوا أن تأتي خارقة للعادة خارجة عن مقدور البشر قطعا، فهذه دلالة بنفسها لا تفتقر إلى كونها مقارنة للتحدي موافقة للدعوى على الوجه وإن كان مما يجري عادة، فوجه الدلالة منها عدم المعارضة فيها »[٢].

وقال الفخر الرازي: « المعجزة عرفا: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة، وقال أمر يتناول الفعل، كانفجار الماء من بين أصابع النبي ﷺ، ويتناول عدم الفعل كعدم إحراق النار إبراهيم عليه السلام »[٣].

ولم يرد في القرآن ولا في السنة لفظ المعجزات، وإنما الموجود فيهما لفظ الآية والبينة والبرهان، ولهذا كان علماء الحديث ومن تبعهم إذا ألفوا في هذا الموضوع يكتبون دلائل النبوة، أو أعلام النبوة، كأبي نعيم والبيهقي والماوردي وغيرهم[٤].

---

[١] تاج العروس (٢١١/١٥) مادة: (عجز).

[٢] العواصم من القواصم (٤٤٩/٢) أراء أبي بكر ابن العربي الكلامية، ط/الجزائر.

[٣] لوامع الأنوار البهية (٢٨٩/٢ ــ ٢٩٠).

[٤] انظر: النبوات ابن تيمية ص ٢٨. العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية أحمد آل بوطامي (١٠١/٢).

وقال شيخ الإسلام: « آيات الأنبياء لا تكون إلا خارقة للعادة، ولا تكون مما يقدر أحد على معارضتها، فاختصاصها بالنبي وسلامتها عن المعارضة شرط فيها، بل وفي كل دليل »[1].

وقال أيضاً « ولهذا يجب في آيات الأنبياء أن لا يعارضها من ليس بنبي، فكل ما عارضها صادر ممن ليس من جنس الأنبياء فليس من آياتهم، ولهذا طلب فرعون أن يعارض ما جاء به موسى لما ادعى أنه ساحر، فجمع السحرة ليفعلوا مثل ما يفعل موسى، فلا تبقى حجته مختصة بالنبوة، وأمرهم موسى أن يأتوا أولاً بخوارقهم فلما أتت وابتلعتها العصا التي صارت حية علم السحرة أن هذا ليس من جنس مقدورهم، فآمنوا إيماناً جازماً »[2].

ولهذا فمن لوازم المعجزة:

١-أن تكون خارقة للعادة.

٢-لا يستطيع أحد أن يعارضها ولا أن يأتي بمثلها، فهنا نفهم من كلام أبي بكر ـ رحمه الله ـ أن المعجزة إذا كانت خارقة للعادة، فلا تفتقر للتحدي، فهنا آيات ومعجزات كثيرة لم يطلب ﷺ أن يتحدى بها، وهي آيات ومعجزات كنبع الماء وتكثير الطعام وغير ذلك، وتعتبر من الآيات مع أنه لم يستدل بها ولم يتحد بها قومه، وكذلك إلقاء الخليل في النار آية على نبوته مع خلوه من التحدي.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية « إن آيات الأنبياء ليس من شرطها استدلال

---

(١) النبوات ص: ١٥٦.

(٢) النبوات ص٢١.

النبي بها ولا تحديه بالإتيان بمثلها، بل هي دليل على نبوته، وإن خلت عن هذين القيدين، وهذا كأخبار من تقدم بنبوة محمد ﷺ فإنه دليل على صدقه، وإن كان هو لم يعلم بما أخبروا به ولا يستدل به، وأيضا فما كان يظهره الله على يديه من الآيات مثل تكثير الطعام القليل حتى كفى أضعاف أضعاف من كان محتاجا إليه، وغير ذلك كله من دلائل النبوة، ولم يكن يظهرها ولا يستدل بها ولا يتحدى بمثلها، بل لحاجة المسلمين إليها »[1].

---

(1) النبوات ١٥٦.

المبحث الثاني

أنواع المعجزات

ذكر الإمام أبو بكر أنواع من المعجزات والبراهين على صدق نبوته ﷺ ما يلي:

١- ذكر أولاً معجزة القرآن، وأن القرآن معجزة النبي ﷺ الشاهد بصدقه الدالة على نبوته، فأبقاها الله على أمته وتولى حفظها بفضله، حتى لا يزاد فيها ولا ينقص منها[1].

فلا شك أن القرآن الكريم أكبر معجزة أوتيها ﷺ، لتدل على صدق نبوته وثبوت رسالته.

قال ﷺ: « ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة »[2].

ولهذا تحدى الله كفار قريش أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو اجتمعت الإنس والجن.

فقال سبحانه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[4].

وقد نفى سبحانه أن يفعلوا ذلك فقال: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[5].

---

(١) أحكام القرآن ١١/٢٥٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل حديث رقم ٤٩٨١ ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ... حديث رقم ١٥٢ ، واللفظ له.

(٣) سورة الإسراء الآية: ٨٨ .

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٣ .

(٥) سورة البقرة الآية: ٢٤ .

قال الشوكاني ـــ رحمه الله ـــ: « وهذا من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها، لأنها لم تقع المعارضة من أحد من الكفرة في أيام النبوة وفيما بعدها وإلى الآن »[١].

وقال الهمداني: « فما أتوا بمثله مع حاجتهم إليه، فانظر كيف يقطع الشهادة أنهم لا يأتون بمثله، وهذا من التحدي المهيج الذي يغيظ ويغضب، وفي هذا غيوب كثيرة لا يأتي بمثلها حذاق المنجمين، ولا يتفق مثلها بالتبخيت ولا بالتخرص »[٢].

وقال أيضا: « وهو أنه ﷺ علم وتيقن حين تحداهم بأن يأتو بمثل هذا القرآن أو بمثل عشر سور أو بمثل سورة أنهم لا يأتون بذلك، ولو لم يتيقن ذلك لما تحداهم ولا قال، لأن العاقل لا يقدم على مثل هذا وهو لا يأمن أن يأتوا بمثله فيفتضح وتبطل حجته ويظهر كذبه وينصرف عنه أصحابه وتبطل رئاسته، سيما والعرب أمم كثيرة والفصاحة مثبوته فيهم، غالبة على رجالهم ونسائهم وعبيدهم وإمائهم، وهو لا يعرفهم بأعيانهم ولا يحيط علما بأشخاصهم وبشعرائهم وخطبائهم وبلغائهم وفصحائهم ودعاتهم »[٣].

ومع ذلك تحداهم ﷺ لأنه كلامه سبحانه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢- ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر.

فعن أنس بن مالك ﷺ: « أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، فنزلت: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ إلى قوله: ﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [٤][٥].

---

[١] فتح القدير ٥٣/١.

[٢] تثبيت دلائل النبوة عبد الجبار الهمداني ٣٧٢/٢.

[٣] المرجع السابق ص٢/٤٠٠.

[٤] سورة القمر الآية: ١-٢ .

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، من حديث أنس برقم ٣٦٣٧ ، ومسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر، حديث رقم ٢٨٠٢ .

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: « بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر فلقتين، فلقة من وراء الجبل وخلفه دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: اشهدوا، يعني، " ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾ [1] " »[2].

قال أبو بكر ابن العربي ـ رحمه الله ـ: « انشقاق القمر معجزة عظمى، بيناها في أنوار الفجر، وآية كبرى لمحمد ﷺ من ألف معجزة بيناها في أنوار الفجر مشروحة، وكان فيها ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنه شاهدها من شاهدوا، وعاينها من عاينها، وأشهدهم النبي ﷺ على ذلك فشهدوا.

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ استشهد من شاهد، وكان هنالك من لم ير الانشقاق وغاب عنه، وكانت له آية أخرى في الآية، لأن انكتام ما لا يخفى في العادة نقض للعادة، وهو المعجز.

الوجه الثالث: ما قطعه أبو عيسى عن جبير بن مطعم وهو مسند من طرق، قالت قريش: هذا سحر مستمر، وقال بعضهم: إن سحر أهل مكة فإنه لا يقدر أن يسحر الناس كلهم، فاسألوا من يرد عليكم، فسألوا من ورد فعرفوهم برؤية ذلك، فعاندوا وقالوا هذا سحر مستمر، أي: ذهب لا يبقى في تأويل، وقيل دائم من أسحار محمد وأفعاله في تأويل آخر، والثاني أقوى »[3].

٤- وقد ذكر أيضا من معجزاته ﷺ تسليم الشجر عليه ﷺ وتكليم الحجارة له وتكثير الطعام، فقال: « وعن عبد الله بن مسعود قال: "كانت الحجارة تكلم النبي ﷺ

---

[1] سورة القمر الآية: ١.

[2] عارضة الأحوذي ١٧٥/١٢ ، والحديث أخرجه ومسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر، حديث رقم ٢٨٠٠ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة لأبي نعيم ٣٢/١ .

[3] عارضة الأحوذي ١٧٥/١٢.

والشجر وتسلم عليه »[١]، وذكر أبو نعيم ــ رحمه الله ــ عن علي ﷺ قال: « كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها خارجا بين الجبال والشجر، فلم يمر بشجر ولا جبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله »[٢]، وكذلك حديث جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: « إن بمكة لحجرا كان يسلم علي ليالي بعثت، إني لأعرفه إذا مررت عليه »[٣] .

وكذلك بركته ﷺ بتكثير الطعام من معجزاته، فقد قال أبو بكر ــ رحمه الله ــ: « فيها معجزة عظمى، وهي أكل ثلاثمائة من حيس في تور لم ينقص منه شيء، وعاد أكثر مما كان »[٤]، وقد جاء ذلك من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: « تزوج رسول الله ﷺ فدخل بأهله، قال: فصنعت أمي أم سليم حيسا فجعلته في تور، فقالت: يا أنس! اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ، فقل: بعثت بهذا إليك بها أمي، وهي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله! قال: فذهبت بها إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني أمي تقرئك السلام وتقول: إن هذا منا لك قليل يا رسول الله! فقال: ضعه، ثم قال: اذهب فادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت، وسمى رجالا، قال: فدعوت من سمى ومن لقيت، قال: قلت لأنس: عدد كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة، وقال لي رسول الله ﷺ: يا أنس! هات التور، قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة، فقال رسول الله ﷺ: ليتحلق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه، قال: فأكلوا حتى شبعوا، قال:

---

[١] عارضة الأحوذي ١٢/١٤٣ .

[٢] أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب المناقب، باب في قول علي في استقبال كل جبل وشجر النبي ﷺ بالتسليم، حديث رقم ٣٦٢٦ ، وقال الترمذي حديث جسن غريب.

[٣] أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، حديث رقم ٢٢٧٧ .

[٤] عارضة الأحوذي ١٢/٩٢.

فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم، فقال لي يا أنس! ارفع، قال: فرفعت، فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت... »، الحديث[١].

٤- ومنها إخباره ﷺ بما يكون من الاختلاف بعده، وإخباره عن غلبة الروم.

قال أبو بكر ابن العربي ــ رحمه الله ــ: « أخبر النبي ﷺ أصحابه بما يكون من الاختلاف بعده وغلبة المنكر، وقد كان عالما به على الجملة والتفصيل، لم يكن ليبينه لكل أحد كذلك، وإنما كان يحذر منه على العموم ثم يلقي التفصيل إلى الآحاد، كحذيفة وأبي هريرة، فقد كان له من النبي ﷺ محل كريم ومنزلة قريبة، وهذه إحدى معجزاته »[٢].

فقد قال ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، وتكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحد »[٣].

وكذلك روى أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتد السهم إلى فوقه، هم شرار الخلق والخليقة، طوبى لمن قلتهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله، وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم، سيماهم التحليق »[٤].

فقد ذكر ﷺ ما سيكون من الفرقة والاختلاف، ومن هذه الفرقة والاختلاف ظهور الخوارج، وحديث العرباض بن سارية وقد قال ﷺ فيه: « ومن يعش منكم

---

[١] عارضة الأحوذي ١٢/٩٢ ــ ٩٣ ، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش وفيه قصة، حديث رقم ١٤٢٨ طرف ٩٤ .

[٢] عارضة الأحوذي ١٠/١٤٦.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفتن، حديث رقم ٧١٢١ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجها المسلمان بسيفيهما، حديث رقم ١٥٧ .

[٤] رواه أبو داود في سننه في كتاب السنة، باب قتال الخوارج، حديث رقم ٤٧٦٥ ، والألباني في صحيح الجامع ٣/٢١٧.

بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، عضوا عليها بالنواجذ...»[1] الحديث.

وفعلا وقع اختلاف وفتن بعده ﷺ، بدأت بقتل عمر رضي الله عنه ثم الاختلاف على عثمان وقتله رضي الله عنه، وتقاتل فئتين عظيمتين من المسلمين، فرقة علي رضي الله عنه وفرقة معاوية رضي الله عنه وغيرهما، كعلي، وطلحة، وعائشة، وكل أخبر به ﷺ فهذا دليل على نبوته، ومنه أيضا خروج نار بالمدينة عظيمة قال ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى[2] »[3].

وقد ذكر العلماء أن هذه النار خرجت سنة أربع وخمسين وستمائة، كما ذكرها أبو شامة ــ رحمه الله ــ وكان قد عاصرها[4].

وموجودة آثارها إلى الآن، وقد وقفت عليها في المدينة، وهذا من دلالات نبوته ﷺ.

ومن ذلك إخباره عن الروم أنه سيغلبون، وذلك كما قال ابن عباس: « في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾[5] قال: غلبت وغلبت، كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم، لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، فذكروه لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ، قال: أما إنهم سيغلبون، فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا

---

[1] أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، حديث رقم ٢٦٧٦ ، وقال حديث حسن صحيح، وأبو داود في سننه كتاب السنة، باب في لزوم السنة حديث رقم ٤٦٠٧ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة جـ٢/٦٤٧.

[2] بصرى: مدينة معروفة بالشام وهي مدينة حوران، بينها وبين دمشق ثلاث مراحل، النووي على مسلم ١٨/٣٠.

[3] أخرجه البخاري في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب خروج النار من أرض الحجاز، حديث رقم ٧١١٨ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، حديث رقم ٢٩٠٢ .

[4] انظر: القيامة الصغرى عمر الأشقر ١٤٣.

[5] سورة الروم الآيات ١-٣ .

وبينك أجلاً، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجل خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك للنبي ﷺ، قال: ألا جعلته إلى دون أراه، قال: العشر، قال أبو سعيد: والبضع ما دون العشر، قال: ثم ظهرت الروم بعد، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ ﴾ إلى قوله: ﴿ ...يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ... ﴾[1] »، قال سفيان: « سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر » قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب[2].

قال أبو بكر ابن العربي: « في هذا باب من معجزات النبي ﷺ وآياته الدالة على نبوته، وهي الأخبار عن الغيوب المستقبلة التي لا يعلمها إلاَّ علاَّم الغيوب، في إخباره عن غلبة الروم، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين »[3].

---

(١) سورة الروم الآيتان: ١-٥ .

(٢) عارضة الأحوذي ١٢/٦٨ ـــ ٦٩.

(٣) عارضة الأحوذي ١٢/٦٩.

المبحث الثالث

كرامات الأولياء

الكرامة لغة:

قال الزبيدي: « والأكارم، جمع: كرام، وكرام، جمع: كريم، والكرامة: أمر خارق للعادة غير مقارن بالتحدي ودعوى النبوة »[١].

الكرامة في الاصطلاح:

قال السفاريني: « الكرامة وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، علم بها ذلك العبد أم لم يعلم »[٢].

وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية: « فالمعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة، وكذلك الكرامة في عرف أئمة العلم المتقدمين »[٣].

إذا فتعريف الكرامة هي: أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، تظهر على يد مؤمن تقي.

وقد اختلفت مذاهب الناس في الكرامات، قال أبو بكر ــ رحمه الله ــ: « لا خلاف بين أهل السنة في كرامات الأولياء، وإنما اختلفوا في كيفيتها، فمنهم من قال: إنها إجابة دعوة، وبه قال الأستاذ أبو إسحاق [الإسفراييني]، ومنهم من قال: إنها تكون بخرق العوائد والإخبار عن الغيوب، وهو الصحيح »[٤].

---

(١) انظر: تاج العروس ٦١٣/١٧ ، مادة (كرم).

(٢) لوامع الأنوار البهية ٣٩٢/٢. العقائد السلفية لأحمد بن جعفر ٤٢١/٢.

(٣) شرح العقدة الطحاوية ٥٥٨.

(٤) عارضة الأحوذي ٢٤٠/١٣.

فأهل السنة والأشاعرة أثبتوا كرامات الأولياء، ولكن الخلاف أن أهل السنة يقولون بجواز وقوع كرامات الأولياء على أيدي الصالحين، ولكنها لا تصل إلى الخوارق التي أظهرها الله ﷻ على أيدي أنبيائه ورسله لإثبات نبوهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين، فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين،ن كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم، ولكن قد يشاركونهم في بعضها، كما يشاركونهم في بعض أعمالهم »[1].

وقال ـ رحمه الله ـ: « فالمراتب ثلاثة: آيات الأنبياء، ثم كرامات الصالحين، ثم خوارق الكفار والفجار كالسحرة والكهان »[2].

أما الأشاعرة فإنهم قالوا: ما جاز وقوعه لنبي جاز وقوعه للولي.

قال الجويني في الإرشاد: « وصار بعض أصحابنا إلى أن ما وقع معجزة لنبي لا يجوز وقوعه كرامة لولي، فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر وتنقلب العصا ثعبانا ويحي الموتى كرامة لولي، إلى غير ذلك من آيات الأنبياء.

وهذه الطريقة غير سديدة، والرضي عندنا تجويز جملة خوارق العوائد في معارض الكرامات »[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « هؤلاء جوزوا كرامات الصالحين، و لم يذكروا بين جنسها وجنس كرامات الأنبياء فرقا، بل صرح أئمتهم أن كل ما خرق لنبي يجوز أن يخرق للأولياء، حتى معراج محمد، وفرق البحر لموسى، وناقة صالح وغير ذلك ...

ومن الناس من فرق بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء بفروق ضعيفة مثل

---

(1) النبوات ٥٠٤.

(2) النبوات ص٤.

(3) الإرشاد للجويني ص٢٦٧.

قولهم: الكرامة يخفيها صاحبها، أو الكرامة لا يتحدى بها، ومن الكرامات ما أظهرها أصحابها كإظهار العلاء بن الحضرمي المشي على الماء، وإظهار عمر مخاطبة سارية على المنبر »[١].

وقال شيخ الإسلام ــ رحمه الله ــ في موضع آخر: « وأن آيات الأنبياء مما يعلم العقلاء أنها مختصة بهم، ليست مما تكون لغيرهم، فيعلمون أن الله لم يخلق مثلها لغير الأنبياء، وسواء في آياتهم التي كانت في حياة قومهم وآياتهم التي فرق الله بها بين أتباعهم وبين مكذبيهم بنجاة هؤلاء وهلاك هؤلاء، ليست من جنس ما يوجد في العادات المختلفة لغيرهم، وذلك مثل تغريق الله لجميع أهل الأرض إلا لنوح ومن ركب معه في السفينة، فهذا لم يكن قط في العالم نظيره »، ثم قال: « وكذلك قوم لوط أصحاب مدائن متعددة رفعت إلى السماء، ثم قلبت بهم واتبعوا بحجارة من السماء تتبع شاذهم، ونجا لوط وأهله إلا امرأته أصابها ما أصابهم، فهذا لم يوجد نظيره في العالم.

وكذلك قوم فرعون وموسى، جمعان عظيمان، ينفرق لهما البحر كل فرق كالطود العظيم، فيسلك هؤلاء ويخرجون سالمين، فإذا سلك الآخرون انطبق عليهم الماء، فهذا لم يوجد نظرية في العالم ...

فآيات الأنبياء هي أدلة وبراهين على صدقهم، والدليل يجب أن يكون مختصاً بالمدلول عليه، لا يوجد مع عدمه، لا يتحقق الدليل إلا مع تحقق المدلول...

والقرآن آية باقية على طول الزمان من جنس جاء به الرسول، تتلى آيات التحدي به، ويتلى قوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾[٢] و﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾، و﴿بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ »[٣].

---

[١] النبوات ص٤.

[٢] سورة الطور الآية: ٣٤ .

[٣] انظر: النبوات ص ١٠٩ ــ ١١٠ ملخصاً.

﴿ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [١] ويتلى قوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [٢].

« فنفس أخبار الرسول ﷺ بهذا في أول الأمر وقطعه بذلك مع علمه بكثرة الخلق دليل على أنه كان خارقا، يعجز الثقلين عن معارضته، وهذا لا يكون لغير الأنبياء »[٣] إلى آخر كلامه رحمه الله.

فبهذا يتبين لنا أن كرامات الأولياء لا تصل إلى خوارق ومعجزات الأنبياء.

وذكر أبو بكر ابن العربي أن من العلماء من قال إن كرامات الأولياء إجابة الدعوة قال به أبو إسحاق الإسفراييني، قال النووي: « وهذا غلط من قائله وإنكار للحس، بل الصواب جريانها حتى في قلب الأعيان »[٤].

وقوم منعوا وقوع خوارق العادة لغير الأنبياء، وهذا قول المعتزلة وابن حزم.

قال ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: « فقالت طائفة لا تخرق العادة إلا لنبي، وكذبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان وبكرامات الصالحين، وهذه طريقة أكثر المعتزلة وغيرهم كأبي محمد بن حزم وغيره »[٥].

وقولهم هذا مردود بما سنورده من أدلة ثبوت الكرامات.

---

[١] سورة يونس الآية: ٣٨

[٢] سورة الإسراء الآية: ٨٨

[٣] انظر: النبوات ١٠٩ ــ ١١٠ ــ ١١٢ ملخصا.

[٤] نقلا من لوامع الأنوار البهية (٢/٣٩٦)

[٥] النبوات ص١١١ .

أدلة ثبوت الكرامات:

احتج من قال بثبوت الكرامات وهم أهل السنة والأشاعرة بما يلي:

الأول: ما أخبر الله تعالى به عن مريم عليها السلام بأنه أنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا.

يعني فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، وقصة آصف حيث أتى بعرش بلقيس قبل أن يرتد طرف سليمان عليه السلام، من سبأ إلى الشام.

وكذلك ما قصه الله علينا من خبر أهل الكهف ونومهم في تلك المدة الطويلة وهم أحياء، ولم يكونوا أنبياء ولا سحرة ولا مشعوذين، بل كانوا مؤمنين صالحين، كما أخبر الله عنهم ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى﴾ [1].

الثاني: ما جاء عن الصحابة من الكرامات، كقصة عمر لما نادى: سارية[2]! الجبل الجبل، وسمعه سارية[3].

وشرب خالد بن الوليد السم[4]، ومشى العلاء بن الحضرمي على الماء، ودخول أبا مسلم الخولاني[5] في النار، كما نقل أضعاف هذا عن التابعين والعلماء الصالحين، وهذا مما ذاع وشاع وملأ الأفاق، ولا ينكره إلا مكابر[6] معاند.

---

[1] سورة الكهف الآية: ١٣ .

[2] سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر الدئلي له صحبة ولاه عمر قيادة بعض الجيوش توفي سنة ٣٠هـ. الإصابة ٢/٣ .

[3] شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي ١٤٠٩/٧ رقم ٢٥٣٧ ، وحسنه الحافظ في الإصابة ٣/٢ .

[4] البداية والنهاية ٣٩٠/٦ ، مجمع الزوائد ٣٥٠/٩ .

[5] أبو مسلم الخولاني عبد الله بن ثواب الداراني، الزاهد، الشامي، كان ـ رحمه الله ـ على جانب عظيم من العبادة. السير ٧/٣ .

[6] انظر المعجزات وكرامات الأولياء لابن تيمية ص٣٧ ، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ٣٠٠ .

الباب الثالث

الإمامة والصحابة

وفيه فصلان:

الفصل الأول : الإمامة.

الفصل الثاني : الصحابة.

الفصل الأول

الإمامة

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الإمامة.

المبحث الثاني : مقاصد الإمامة.

المبحث الثالث : شروط الإمامة.

المبحث الرابع : وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر وحكم الخروج على الأئمة.

المبحث الخامس : صحة إمامة الخلفاء الأربعة.

المبحث السادس : إمامة المفضول.

المبحث الأول

تعريف الإمامة

التعريف اللغوي:

الإمامة مصدر من أم يؤم، تقول: أم القوم، وأم بهم: تقدمهم، وهي الإمامة.

والإمام: كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم، أو كانوا ضالين، والجمع: أئمة، وأمَّ كل شيء تيمه والمصلح له والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا محمد رسول الله ﷺ إمام الأئمة والخليفة إمام الرعية.

وإمام الجند: قائدهم، وأممت القوم في الصلاة إمامة، وائتم به، أي: اقتدى به، والإمام المثال، وإمام الغلام في المكتب ما يتعلم كل يوم، وإمام المثال ما امتثل عليه، والإمام الخيط الذي يمد على البناء فيبنى عليه، ويسوي عليه ساف البناء[1].

التعريف الاصطلاحي:

عرفها الجويني بأنها: رياسة تامة وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا[2].

وقال الماوردي[3]: « الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا »[4].

---

(1) انظر لسان العرب مادة أمم ٢١٥/١ ، وتاج العروس مادة (امم) (٢٧/١٦).

(2) انظر: غياث الأمم للجويني ص٢٢.

(3) هو أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعين صاحب التصانيف، ولي القضاء، توفي سنة ٤٥٠هـ، سير أعلام النبلاء ٦٤/٨ .

(4) الأحكام السلطانية للماوردي ص٥.

المبحث الثاني

أهمية الإمامة

إن وجود إمام يقود الأمة ويقيم دين الله ويدبر مصالح العباد ويقوم على حفظ دمائهم وأعراضهم وأموالهم من النعم العظيمة على العباد، فله سبحانه الحمد والشكر على كمال دينه وحسن شريعته، وقد ذكر الإمام أبو بكر بن العربي فائدة الإمامة بكلام موجز شامل لكثير من فوائد الإمامة فقال ـ رحمه الله ـ: « وقد جعل الله الخلافة مصلحة في الخلق ونيابةً عن الخالق، وضابطاً للقانون وكافاً عن الاسترسال بحكم الهوى، وتسكيناً لثائرة الدهماء وثائرة الغوغاء »[1].

ومن أعظم مقاصد الإمامة وفوائدها إقامة الدين وحفظه ونشره قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[2].

قال أبو يعلى: « مما يلزم الإمام حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، فإن زاغ ذو شبهة عنه بين له الحجة وأوضح له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروساً من خلل، والأمة ممنوعة من الزلل »[3].

ومنها أيضاً تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين، فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم.

ومنها إقامة الحدود لتصان محارم الله عن الانتهاك، وتحفظ حقوق العباد من الإتلاف والاستهلاك.

---

[1] عارضة الأحوذي ٩/٦٩.

[2] سورة الحج الآية: ٤١

[3] الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص١١.

ومنها حماية بيضة[1] المسلمين، والذب عن الحوزة، لينصرف الناس في المعـــايش، وينشروا في الأسفار آمنين.

ومنها تحصين الثغور بالعُدة المانعة والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الأعــــداء بغــرة ينتهكون بها محرماً أو يسفكون بها دماً.

ومنها جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة، حتى يسلم أو يدخل في الذمة.

ومن فوائد الإمام جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع، إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة للإمامة[2].

---

[1] البيضة: أصل القوم ومجتمعهم، وبيضة القوم: ساحتهم. انظر: لسان العرب ١/٥٥٤ مادة (بيض).

[2] انظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص١١-١٢ والأحكام السلطانية للماوردي ص١٥ـــ١٦.

المبحث الثالث

شروط الإمامة

ذكر العلماء شروطا للإمام، بعضها متفق عليه وبعضها مختلف فيه.

وهذه الشروط يجب مراعاتها في حال إذا كان هناك اختيار من أهل الحل والعقد، أما إذا انتفت حال الاختيار وألجئت الأمة إلى حال لا اختيار فيها كتغلب ونحوه، وتـولى الأمر من لم يستكمل شروط الإمامة، ففي هذه الحال لا تشترط جميع الشـــروط، لأن ذلك سيؤدي إلى فتنة وقتل وسفك دماء، وفقدان بعض الشروط في الحاكم المتغلـب لا يقتضي جواز الخروج عليه وعدم طاعته.

وهناك شروط للإمامة ذكرها العلماء نوردها بإيجاز، ثم نتحدث عن ثلاثة منـهما بشيء من التفصيل، لأنها ذكرها الإمام أبو بكر بن العربي.

١- **الإسلام**: لقوله تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[1].

٢- **أن يكون حرا**: فلا يجوز أن يكون عبدا، لأن العبد لا يملك التصرف في شيء إلا بإذن سيده، فكيف تكون له ولاية على غيره، ولا خلاف في هذا بين العلماء، أما لو تغلب عبد بالقوة، فإن طاعته تجب إخمادا للفتنة وصونا للدماء ما لم يأمر بمعصية.

٣- **البلوغ**: فلا تجوز إمامة الصبي إجماعا، لعدم قدرته على القيام بأعباء الخلافة.

٤- **العقل**: فلا تجوز إمامة المجنون ولا المعتوه، وهذا لانزاع فيه .

٥- **أن يكون ذكرا**: فلا تولى المرأة.

٦- **أن يكون عدلا**: فلا تجوز إمامة الفاسق لقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

لكن لو تولى فاسق أو ظالم فلا يجوز الخروج عليه خوف الفتنة.

---

[1] سورة النساء الآية: ١٤١ .

[2] سورة البقرة الآية: ١٢٤ .

٧- **العلم**: المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام .

٨- **سلامة الحواس**: من السمع والبصر واللسان، ليصح معها مباشرة ما يدرك به، ويدل لهذين الشرطين الأخيرين قوله تعالى عن طـالوت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾[1].

٩- **أن يكون قرشيا**: وهذا الشرط وشرط الذكورية سيأتي الحديث عنهما.

١٠-**أن يكون ذا خبره ورأي**: حصيف بأمر الحرب والشجاعة والخبرة المؤديـة إلى حماية البيضة وجهاد العدو، وأن لا يكون ممن تلحقه رقة في إقامة الحدود ولا فزع مـن ضرب الرقاب[2].

من شروط الإمام التي تكلم عليها الإمام أبو بكر:

- **الشرط الأول: الذكورية.**

ذكر الإمام أبو بكر ابن العربي الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن النبي ﷺ أنـه قال حين بلغه أن كسرى لما مات ولى قومه بنته: « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امـرأة »[3]، فقال: « وهذا نص في أن المرأة لا تكون خليفة، ولا خلاف فيه »[4]، ثم قال: « فـإن المرأة لا يتأتى منها أن تبرز إلى المجالس ولا تخالط الرجال، ولا تفاوضهم مفاوضة النظـير

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٤٧ .

(٢) وللمزيد من التفصيل انظر الأحكام السلطانية للماوردي ص٦، وأضواء البيان للشنقيطي (٥١/١)، والأحكام السـلطانية لأبي يعلى ص٤، وغياث الأمم للجويني ص٩٧، والإمامة العظمى للدميجي ص٢٣٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، حديث رقم ٤٤٢٤ ، والـترمذي في كتاب الرؤيا، باب ما جاء « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة »، حديث رقم ٢٢٦٢ ، والنسائي في السـنن الكـبرى (٤٦٥/٣) حديث رقم ٥٩٣٧ .

(٤) أحكام القرآن ٤٨٢/٣ عارضة الأحوذي ١١٩/٩.

للنظير، لأنها إن كانت فتاة حرم النظر إليها وكلامها، وإن كانت متجالة برزة لم يجمعها والرجال مجلس تزدحم فيه معهم وتكون منظرة لهم، و لم يفلح قط من تصور هــذا، ولا من اعتقده »[1]، وممن حكا أنه لا خلاف فيه، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[2].

وقال البغوي ــ رحمه الله تعالى ــ: « اتفقوا على أن المرأة لا تصلح أن تكــون إماما ولا قاضيا، لأن الإمام يحتاج إلى الخروج لإقامة أمر الجهاد والقيام بأمور المسلمين، والقاضي يحتاج إلى البروز لفصل الخصومات، والمرأة عورة لا تصلح للــبروز، وتعجــز لضعفها عن القيام بأكثر الأمور، ولأن المرأة ناقصة، والإمامة والقضــاء مــن كمــال الولايات، فلا يصلح لها إلا الكامل من الرجال »[3].

فإن الولاية تحتاج من القوة والعزيمة والشجاعة وحسن التدبير ما تعجز عنه المـرأة، فإن المرأة خلقها الله بطبيعة تختلف عن الرجل، فطبيعتها يلاحظ عليها إرهاف العاطفــة وشدة الحنان وسرعة الانفعال، ومن الأدلة على أن الولاية والإمامة للرجال دون النســاء قوله تعــلى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ... ﴾ الآية[4].

وأخبر النبي ﷺ أن النساء ناقصات عقل ودين[5]، والإمامة تحتاج إلى كمال عقــل ورأي.

---

[1] أحكام القرآن ٤٨٣/٣.

[2] أضواء البيان ٥٥/١.

[3] شرح السنة للبغوي ٧٧/١٠.

[4] سورة النساء الآية: ٣٤ .

[5] أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، حديث رقم ٣٠٤ ، ومسلم في صحيحــه في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، حديث رقم ٧٩ .

▫ الشرط الثاني: أن يكون الإمام قرشيا.

قال أبو بكر ــ رحمه الله ــ: « ولا تخرج الخلافة عن قريش لقول النبي ﷺ: " قريش ولاة هذا الأمر في الخير والشر إلى يوم القيامة "[١]، وعلى ذلك أجمعت الصحابة حين بينه أبو بكر في "يوم السقيفة"[٢] »[٣].

وقد نقل عن الإمام مالك أنه لا يكون إلا قرشيا، لأن الإمامة لا تكون إلا لقرشي[٤].

ومما يؤيد ما ذهب إليه الإمام أبو بكر ابن العربي ــ رحمه الله ــ ما جاء عن النبي ﷺ في جمع من الأحاديث، ومن ذلك حديث أبي هريرة: « الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم »[٥].

وعن معاوية بن أبي سفيان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه، ما أقاموا الدين »[٦].

وعن معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « الناس تبع لقريش في هذا الأمر، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والله لو لا أن تبطر قريش لأخبرتها ما لخيارها عند الله ﷺ »[٧].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر مرفوعا « الناس تبع لقريش في الخير والشر » حديث رقم ١٨١٩ ، وأخرجه من حديثه أيضا: « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان » حديث رقم ١٨٢٠ .

(٢) أخرج القصة بتمامها البخاري في صحيحه، كتاب المحاربين، باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت، حديث رقم ٦٨٣٠ .

(٣) عارضة الأحوذي ٧١/٩.

(٤) أحكام القرآن ١٥٣/٤ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب المناقب، حديث رقم ٣٤٩٥ ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، حديث رقم ١٨١٨ .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب قريش، حديث رقم ٣٥٠٠ ، وأحمد في المسند ٩٤/٤.

(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٠١/٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٠٢/٦) ط/ مكتبة الرشد، وابن أبي عاصم في السنة بدون زيادة: « والله لولا أن تبطر... » (٥٣٤/٢) حديث رقم ١١٢٨ ، وصححه الألباني في تعليقه على السنة.

ومن حديث أنس بن مالك ﷺ قال: كنا في بيت رجل من الأنصار فجاء النبي ﷺ حتى وقف فأخذ بعضادة الباب، فقال: « الأئمة من قريش، ولهم عليكم حق، ولكم مثل ذلك، ما إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا عاهدوا وفوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »[١].

وقال القاضي عياض: « واشتراط كونه قرشيا هو مذهب العلماء كافة، وقد احتج به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على الأنصار يوم السقيفة فلم ينكره أحد، وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا، وكذلك من بعدهم في جميع الإعصار، ولا اعتداد بقول النظام ومن وافقه من أهل البدع من الخوارج »[٢].

وممن حكى الإجماع أيضا الماوردي[٣].

وقد اعترض على هذا الشرط بحديث أبي هريرة: « لا يذهب الليل والنهار حتى يملك رجل من الموالي يقال له جهجاه »[٤]، وكذلك حديث: « لن تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه »[٥].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٨٣/٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٥/١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٤٣/٨)، والضياء في المختارة (٤٠٣/٤) ط/ مكتبة النهضة.

(٢) النووي شرح مسلم (٢٠٠/١٢).

(٣) الأحكام السلطانية ص٦.

(٤) أخرج الحديث مسلم بلفظ: « لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له الجهجاه » حديث رقم ٢٩١١، والترمذي في جامعه، كتاب الفتن، باب ملك رجل من الموالي يقال له جهجاه، حديث رقم ٢٢٢٨ وقال: هذا حديث حسن غريب، وأحمد في مسنده (٣٢٩/٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ذكر قحطان، من حديث أبي هريرة، حديث رقم ٣٥١٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم ٢٩١٠.

أجاب عند هذا الإمام أبو بكر ــ رحمه الله ــ فقال: « هذا إنذار من النبي ﷺ بما يكون من الشر في آخر الزمان في تسور القوامة على منازل أهل الاستقامة، ليس خبرا عما ينبغي »[1].

فلا شك أن الراجح أن شرط القرشية من شروط الإمامة، لنص الأحاديث في ذلك، فهي أحاديث صحيحة صريحة، وأيضا نقل الإجماع في ذلك، وإن خالف بعض الطوائف الذين لا ينظر إلى قولهم.

فاشتراط أن يكون الإمام قرشيا، لو اجتمع أهل الحل والعقد على الاختيار وتنصيب الإمام، أما إذا حكم غير قرشي واستتب الأمر له فإنه لا يخرج عليه ولا ينازع في حكمه، وتجب طاعته ما لم يأمر بمعصية، إخمادا للفتنة وصونا للدماء، فقد مرت على المسلمين كثير من العصور لم يكن الخليفة قرشيا، مع ذلك لم يكن العلماء يأمرون بالخروج عليهم.

- **الشرط الثالث: أن يكون حرا.**

من شروط الإمام أن يكون حرا، ولا يكون عبدا مملوكا، فإن المملوك لا يتصرف في شيء إلا بإذن سيده، فلا ولاية له على نفسه، فكيف يكون له الولاية على غيره.

قال أبو بكر ــ رحمه الله ــ: « قال علماؤنا: إن العبد لا يكون واليا »[2].

وقال الشنقيطي ــ رحمه الله ــ: « ولا يجوز أن يكون عبدا، ولا خلاف في هذا بين العلماء »[3].

وقد نقل ابن بطال عن المهلب قوله: « وأجمعت الأمة على أنها لا تكون في العبيد »[4].

---

[1] عارضة الأحوذي ٧١/٩ ــ ٧٢.

[2] عارضة الأحوذي ١٤٩/١٠.

[3] أضواء البيان ٥٥/١.

[4] فتح الباري ١٢٢/١٣.

فإن قيل: ورد في الصحيح ما يدل على جواز إمامة العبد من ذلك حديث أنس بن مالك ﷺ كما في صحيح البخاري، قال: قال رسول الله ﷺ: « اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة »[١]، ولمسلم أيضا من حديث أم حصين: « اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله »[٢].

ولمسلم أيضا من حديث أبي ذر ﷺ: « أوصاني خليلي أن أطيع وأسمع وإن كان عبدا حبشيا مجدع الأطراف »[٣].

فالجواب عليه من أوجه:

الوجه الأول:

أنه قد يضرب المثل بما لا يقع في الوجود، قال أبو بكر عندما تكلم عن هذا الحديث: « وهذا كقول النبي ﷺ: "من بنى مسجدا ولو كمفحص قطاه بنى الله له بيتا في الجنة "[٤]، ولا يكون وكر القطاه مسجدا، ولكن النبي ﷺ ضرب به المثل على التقدير وإن لم يكن موجودا، ولكن الأمثال تأتي فيها أمثال هذا، وجعلوا قوله ﷺ: " لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها من هذا القبيل، لاستحالة سرقة فاطمة" [٥] »[٦]،

---

[١] أخرجه البخاري من حديث أنس في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكم معصية، حديث رقم ٧١٤٢ ، والإمام أحمد في مسنده (٣/١١٤).

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، حديث رقم ١٨٣٨ ولفظ: « ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله، اسمعوا له وأطيعوا ».

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، الباب السابق نفسه، حديث رقم ١٨٣٧ ورواياته.

[٤] أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤/٤٩٠) حديث رقم ١٦١٠ من حديث أبي ذر، وأخرجه من حديث ابن عباس الإمام أحمد في مسنده (١/٢٤١).

[٥] أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد، حديث رقم ٦٧٨٨ ، ومسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، حديث رقم ١٦٨٨ .

[٦] انظر: عارضة الأحوذي (١٠/ ١٤٩).

والذي عندي فيه ــ قول ابن العربي ــ أن النبي ﷺ أخبر بفساد الأمر ووضعه في غير أهله، حتى توضع الولاية في العبيد، فإن كانت فاسمعوا وأطيعوا »[١].

الوجه الثاني:

أن المراد باستعمال العبد الحبشي أن يكون مؤمرا من جهة الإمام الأعظم على بعض البلاد، وهو أظهرها، فليس هو الإمام الأعظم [وهو أصح الوجوه عند الشنقيطي ــ رحمه الله ــ] »[٢].

الوجه الثالث:

أن يكون أطلق العبد نظرا لاتصافه بذلك سابقا، مع أنه وقت التوليه حر، ونظيره إطلاق اليتيم على البالغ باعتبار اتصافه به سابقا، في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ...﴾ [٣] الآية[٤].

فالراجح أن المملوك لا يكون إماما، وهذا ما دلت عليه النصوص، وهذا فيما يكون بطريق الاختيار.

أما لو تغلب عبد حقيقة بالقوة، فيجب طاعته في غير معصية الله، إخمادا للفتنة وصونا للدماء.

---

[١] المرجع سابق ١٤٩/١٠ .

[٢] انظر: أضواء البيان الشنقيطي (١٢٨/١).

[٣] سورة النساء الآية: ٢ .

[٤] أضواء البيان (١٢٨/١).

قال أبو بكر ــ رحمه الله ــ: « فإذا كانت ــ أي: ولاية العبيد ــ فاسمعوا وأطيعوا تغليبا لأهون الضررين، وهو الصبر على ولاية من لا تجوز ولايته، لئلا يغير ذلك فيخرج منه إلى فتنة عميا صماء، لا دواء لها ولا خلاص منها »[1].

وما ذكره أبو بكر من الشروط متضمنة لما ذكره غيره من الشروط الصحيحة، وهذا يخرج ما ذكره بعض الطوائف من الشروط التي لم يدل عليها دليل، كشرط العصمة.

---

[1] عارضة الأحوذي ١٠/١٤٩.

المبحث الرابع

وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر
وحكم الخروج عليهم

إن طاعة الإمام من أهم الأمور ومن أوجبها، فبطاعته في غير المعصية تستقيم الأمور، وتقوى شوكة المسلمين، ويكون سببا لعزهم، وقوتهم ونصرتهم على أعدائهم، وخيرا لهم في مصالحهم الدينية والدنيوية.

فأبو بكر بن العربي يرى وجوب الطاعة، وعدم الخروج على الأئمة، فهو يقول عند شرح قول عمر ﷺ، لما خطب بالجابية، جاء فيها: « عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة »[١].

قال أبو بكر في قوله عليكم بالجماعة يحتمل معنيين:

« **الأول**: أن الأمة إذا أجمعت على قول، فلا يجوز لمن بعدهم أن يحدث قولا آخر.

الثاني: إذا اجتمعوا على إمام، فلا تحل منازعته ولا خلعه، بل لو عقده بعضهم لجاز، ولم يحل لأحد أن يعارض »[٢].

وقال في موضع آخر:عند حديث العرباض بن سارية قال: " وعظنا رسول الله ﷺ يوما بعد صلاة الغداة، موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا... " الحديث[٣] ».

قال أبو بكر: « قوله ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا" يعني: ولاة الأمر، وإن أمر عليكم عبد حبشي »، ثم قال: « فإن النبي ﷺ أخبر بفساد الأمر ووضعه في غير أهله، حتى توضع الولاية في العبيد، فإذا كانت فاسمعوا وأطيعوا، تغليبا لأهون الضررين، وهو الصبر

---

[١] العارضة ٩/١٠ ــ ١١ ، والحديث رواه الترمذي في جامعه، في كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث رقم ٢١٦٥ ، وابن ماجه في سننه، حديث رقم ٧٢٥٤ .

[٢] عارضة الأحوذي ٩/١٠.

[٣] سبق تخريجه.

على ولاية من لا تجوز ولايته لئلا يغير ذلك، فيخرج منه إلى فتنة عمياء صماء، لا دواء لها ولا خلاص منها »، وفي رواية ذكر فيها تعدي الولاة فقال: « اسمعوا وأطيعوا ما أقاموا فيكم كتاب الله »[1].

ويرى أبو بكر ـ رحمه الله ـ أن السمع والطاعة مقيدة فيما يحل، ولا يطاع في معصية الله سبحانه وتعالى، فقال عند حديث جرير بن عبد الله البجلي: « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم»[2].

وحديث عبادة: « بايعوا بيعة العقبة الأولى على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقول الحق حيث ما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم »[3].

وقال ابن عمر: « كنا نبايع النبي ﷺ على السمع والطاعة، ويلقننا فيما استطعتم »[4].

قال أبو بكر ابن العربي ـ رحمه الله ـ: « وهذا كله فيما يجوز ويحل لا فيما يحرم، لقول النبي ﷺ: " إنما الطاعة في المعروف "، وفي حديث ابن عمر: " السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة "[5] »[6].

---

[1] عارضة الأحوذي ١٤٩/١٠.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، حديث رقم ٧٢٠٤ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم ٥٦ ولفظه: « بايعت النبي على السمع والطاعة فلقنني فيما استطعت، والنصح لكل مسلم ».

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، والإمام أحمد في مسنده (٣١٦/٥) واللفظ له، والبيهقي في السنن الكبرى (٢١١/٥) حديث رقم ٨٦٨٨ .

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، حديث رقم ٧٢٠٢ .

[5] أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، حديث رقم ٧١٤٤ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، حديث رقم ١٨٣٩ .

[6] عارضة الأحوذي ٩٢/٧ ـ ٩٣.

فإن لم يكن أهلا للولاية فهل يخرج عليه وينازع؟ أوضح ذلك أبو بكر ابن العربي، وساق الخلاف في ذلك بإيجاز وبين الراجح ــ رحمه الله ــ فقال: « فإن لم يكن أهلا للأمر فهل ينازع ويخرج عليه؟ اختلف الناس في ذلك، فمنهم من قال يخرج عليه، لأن الذي لزمت فيه العهدة وانعقدت عليه البيعة أن لا ننازع الأمر أهله، فأما أن يترك بيد من ليس له بأهل، يظلم يجور ويعبث فلا.

وبهذا التأويل خرج الفاضلان الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير على يزيد، وخرج القراء على الحجاج، ورأى بعضهم الصبر عليه والسكون تحت قضاء الله فيه، كما قال عبد الله بن عمر في ولاية يزيد: « إن كان خيرا رضينا، وإن كان بلاء صبرنا ».

وقال القراء للحسن بن أبي الحسن البصري[1]، حين خرجوا على الحجاج: « كن معنا، فقال لهم الحسن: الحجاج عقوبة الله في أرضه، وعقوبة الله لا تقابل بالسيف، وإنما تقابل بالتوبة »[2].

والصبر على ظلم واحد أخف من سفك الدماء ونهب الأموال، فيما لا يتحصل فيه الآن حسن العاقبة ولا حميد المآل، والأحاديث في ذلك كثيرة، تقتضي الصبر على جورهم[3].

فنستخلص من كلام أبي بكر ابن العربي أمرين:

الأول: أن الإمام أبا بكر ــ رحمه الله ــ يرى وجوب طاعة الإمام والسمع والطاعة له، في غير معصية الله، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويرون أن الطاعة

---

[1] هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، وكان سيد أهل زمانه علما وعملا، توفي سنة ١١٠هـ وعمره ٩٠ سنة، سير أعلام النبلاء ٥٦٣/٤ ، تقريب التهذيب ١٦٠ .

[2] فما أحسن هذا الكلام وأحوجنا إليه في هذا الزمن.

[3] عارضة الأحوذي ٩٤/٧ ــ ٩٥.

حق للإمام على رعيته، فإن استقامة الأمور وبناء دولة الإسلام لا تتم إلا بالطاعة والانقياد في غير معصية الله، فعلى هذا دلت الأحاديث والنصوص كقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1].

ومنها حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني »[2].

ومنها الحديث السابق ذكره: « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة، ما أقام فيكم كتاب الله »[3] وغيرها من الأحاديث.

إلا أن الأمر بالطاعة مقيد في غير معصية الله، فإذا كان في معصية فلا سمع ولا طاعة، لحديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « على المرء السمع والطاعة فيما أحب أو كره، إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »[4].

الأمر الثاني: يرى أبو بكر ابن العربي عدم جواز الخروج على الإمام ولا ينازع الأمر أهله، وهذا ما دلت عليه الأحاديث، وهو قول أهل السنة والجماعة، وما استقر عليه رأيهم، لكثرة الأحاديث الدالة على النهي عن الخروج على الإمام وعدم منازعته، وهذا القول هو قول عامة أهل السنة، وهو الذي استقر عليه مذهبهم.

---

[1] سورة النساء الآية: ٥٩ .

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم »، حديث رقم ٧١٣٧ ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، حديث رقم ١٨٣٤ .

[3] سبق تخريجه.

[4] سبق تخريجه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ: « ولهذا استقر رأي أهل السنة على ترك القتال في الفتنة، للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم »[١].

قال الشنقيطي ـــ رحمه الله ـــ: « قال بعض العلماء: إذا صار فاسقا أو داعيا إلى بدعه جاز القيام عليه لخلعه، والتحقيق الذي لا شك فيه أنه لا يجوز القيام عليه، إلا إذا ارتكب كفرا بواحا، عليه من الله فيه برهان »[٢].

قال الطحاوي ـــ رحمه الله ـــ: « ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة »[٣].

قال القاضي عياض[٤] ـــ رحمه الله ـــ: « جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين لا ينعزل الإمام بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويفه للأحاديث الواردة في ذلك، بل حكى الإجماع على ذلك »، قال: « وقيل: إن هذا الخلاف كان أولا، ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم، والله أعلم »[٥].

فعلى هذا دلت النصوص لأنه يترتب على الخروج عليهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم.

---

[١] منهاج السنة ٢٤١/٢.

[٢] أضواء البيان ٥٧/١ ـــ ٥٨.

[٣] شرح الطحاوي ٥٤٠/٢.

[٤] هو القاضي أبو الفضيل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو، اليحصبي، الأندلسي، السبتي، المالكي، شيخ الإسلام، صاحب التصانيف، توفي سنة ٥٤٤هـ ، سير أعلام النبلاء ٢١٢/٢٠ .

[٥] انظر شرح النووي على مسلم ٢٢٩/١٢.

فالشرع جاء بجلب المصالح ودفع المفاسد، وارتكاب أخف الضررين دفعا لأشدهما[1]، فبقاء السلطان الجائر ضرر ولكن محاولة إزالته وخلعه يحصل به ضرر أعظم، ومفسدة أعظم من القتل وسفك الدماء والفرقة وانتهاك الأعراض وسلب الأموال ومن نظر إلى العالم الإسلامي من حوله يرى هذا واقعا ملموسا، حتى ولو كان هناك كفرا بواحا صريحا واضحا وضوح الشمس في رابعة النهار فإنه لا يخرج عليه، إلا إذا كان هناك قوة قادرة على تغييره، لما يحصل فيه من المفاسد العظيمة، فكم حصل للأمة الإسلامية في هذا العصر من القتل والتعذيب بسبب العجلة وعدم التروي وعدم الرجوع للعلماء.

[1] انظر: كتاب القواعد تقي الدين الحصيني (٣٤٩/١).

أدلة عدم جواز الخروج على الأئمة:

أخرج الشيخان في صحيحهما عن عبادة بن الصامت رضي الله عنهما قال: « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا عسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم فيه من الله برهان »[١] .

وحديث عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « خيار أئمتكم الذين يحبونكم وتحبونهم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، قال: قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا من ولي عليه وآل فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله تعالى، ولا ينزعن يدا من طاعة »[٢].

وحديث أم سلمة رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: « ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف بريء ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع، قالوا: يا رسول الله، أفلا نقاتلهم؟ قال: لا، ما صلوا »[٣].

وأخرج الشيخان في صحيحهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « من رأى من أميره شيئا فكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية »[٤].

---

[١] سبق تخريجه.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم، حديث رقم ١٨٥٥ ، وأحمد في مسنده (٢٤/٦).

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا، حديث رقم ١٨٥٥ .

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، حديث رقم ٧١٤٣ واللفظ له، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، حديث رقم ١٨٤٩ .

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »[١].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع »[٢].

والأحاديث في هذا كثيرة، فهذه النصوص تدل على منع الخروج على الإمام ولو كان مرتكبا لما لا يجوز، إلا إذا ارتكب الكفر الصريح الذي قام الدليل الشرعي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عليه أنه كفر بواح، أي: ظاهر لا لبس فيه.

قال الشنقيطي: « وقد دعا المأمون والمعتصم والواثق إلى بدعة القول بخلق القرآن، وعاقبوا العلماء من أجلها بالقتل والضرب والحبس وأنواع الإهانة، ولم يقل أحد بوجوب الخروج عليهم بسبب ذلك، ودام الأمر بضع عشرة سنة، حتى ولي المتوكل الخلافة فأبطل المحنة وأمر بإظهار السنة »[٣].

وقال ابن حزم: « إن التغيير بالسيف قد قال به بعض الصحابة والتابعين كعائشة رضي الله عنها، وطلحة بن عبيد الله، وكذلك معاوية وعمرو بن العاص وغيرهم من الصحابة، وكذلك الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وكذلك من قام من الصحابة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، الباب السابق، حديث رقم ١٨٥١ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين...، وهو جزء من حديث رقم ١٨٤٧ .

(٣) أضواء البيان ١/٥٨ ــ ٥٩.

من المهاجرين والأنصار يوم الحرة والقراء في فتنة ابن الأشعث، قال: وهذا قول عامة الخوارج والمعتزلة والزيدية »[١].

نقول: نعم، هم مجتهدون ومأجورون إن شاء الله، ولكن ما الذي حدث من الفتنة وسفك الدماء والقتل وتفرق المسلمين، ولذلك لما رأى أهل السنة ذلك استقر أمرهم على عدم جواز منابذة الإمام بالسيف، كما قال ذلك شيخ الإسلام كما سبق.

وأيضا قال ابن حجر: « هذا مذهب للسلف قديم، لكن استقر الأمر على ترك ذلك لما رأوه قد أفضى إلى ما هو أشد منه، ففي وقعة الحرة ووقعة ابن الأشعث وغيرهما عظة لمن تدبر »[٢].

وأيضا هل نترك الأحاديث الصحيحة الصريحة في ذلك؟ فقول رسول الله ﷺ مقدم على قول من كان من البشر، وأيضا خالفهم بعض الصحابة الآخرين، فعلينا اتباع الدليل والأخذ به، وعلينا الإمساك عما جرى بينهم، فكلهم مأجور إن شاء الله، وكفاهم شرفا صحبة نبينا محمد ﷺ كما قيل لعمر بن عبد العزيز: « ما تقول في أهل صفين؟ قال: تلك دماء طهر الله يدي منها، فلا أحب أن أخضب لساني بها » ونقول كما قال تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٣][٤].

بل في الصبر على جور الأئمة تكفير السيئات ومضاعفة الحسنات فرحم الله ابن أبي العز حيث قال: « وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا فلأنه يترتب على الخروج على طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير

---

[١] الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/٢٠).

[٢] تهذيب التهذيب لابن حجر (٢/٢٨٥) في ترجمة الحسن بن صالح.

[٣] سورة البقرة الآية: ١٣٤و ١٤١ .

[٤] حلية الأولياء لأبي نعيم ١٤٩/٩.

السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] ».

ثم قال بعد إيراد عدة آيات: « فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم فليتركوا الظلم »[2].

فنسأله سبحانه أن يهدينا إلى ما يحبه ويرضاه، ويجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، فهذا هو المذهب الحق الذي لا مرية فيه إن شاء الله، وهو ما ذهب إليه الإمام أبو بكر ابن العربي ـــ رحمه الله ـــ.

---

[1] سورة الشورى الآية: ٣٠ .

[2] شرح الطحاوية لابن أبي العز ٢/٥٤٣.

المبحث الخامس

صحة إمامة الخلفاء الأربعة

تكلم الإمام أبو بكر ابن العربي ـــ رحمه الله ـــ عن صحة إمامة الخلفاء الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي.

فقال عند قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1]: « قال علماؤنا: هذه الآية وعد حق وقول صدق، يدل ذلك على صحة إمامة الخلفاء الأربعة، لأنه لم يتقدمهم أحد في الفضيلة إلى يومنا هذا، فأولئك مقطوع بإمامتهم، متفق عليها، وصدق وعد الله فيهم، وكانوا على الدين الذي ارتضى لهم، واستقر الأمر لهم، وقاموا بسياسة المسلمين، وذبوا عن حوزة الدين، فنفذ الوعد فيهم وصدق الكلام فيهم، وإذا لم يكن هذا الوعد بهم ينجز وفيهم نفذ وعليهم ورد ففي من يكون إذن؟ وليس بعدهم مثلهم إلى يومنا هذا ولا يكون فيما بعده.

قام أبو بكر بدعوة الحق، واتفاق الخلق، وأوضح الحجة، وبرهان الدين، وأدلة اليقين، فبايعه الصحابة، ثم استخلف عمر فلزمت الخلافة، ووجبت النيابة وتعين السمع والطاعة، ثم جعلها عمر شورى، فصارت لعثمان بالنظر الصحيح، والتبجيل الصريح، والمساق الفسيح، جعل الثلاثة أمرهم إلى ثلاثة ثم أخرج عبد الرحمن نفسه بشرط أن يكون إلى من اختاره من الرجلين فاختار عثمان، وما عدل عن الخيار وقدمه وحقه التقديم على علي.

---

[1] سورة النور الآية: ٥٥ .

ثم قتل عثمان مظلوما في نفسه، مظلوم جميع الخلق فيه، فلم يبق إلا علي أخذا بالأفضل فالأفضل، وانتقالا من الأول إلى الأول، فلا إشكال لمن جنف عن المحال أن التنزيل على هؤلاء الأربعة، وعد الله في هذه الآية »[1].

وحكى هذا القول القشيري عن ابن عباس كما ذكره القرطبي[2].

واحتج أبو بكر بما رواه سفينة مولى رسول الله ﷺ، قال سعيد بن حمدان عن سفينة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء »، قال سعيد: قال لي سفينة: امسك عليك، خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشرا وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة وخلافة علي ستا[3]، وفي رواية: أعدد أبو بكر كذا وعمر كذا، وعثمان كذا وعلي كذا والحسن ستة أشهر فهؤلاء ثلاثون سنة[4].

وذكر ــ رحمه الله ــ قولا آخر في هذه المسألة، فقال: « وقال قوم: إن هذا وعد لجميع الأمة في ملك الأرض كلها تحت كلمة الإسلام، كما قال ﷺ: " زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها "[5] »[6].

قال القرطبي: « واختار هذا القول ابن عطية، قال: "والصحيح في ولاية استخلاف الجمهور، واستخلافهم أن يملكهم البلاد ويجعلهم أهلها، كالذي جرى في الشام والعراق وخرسان والمغرب" »[7].

---

(1) أحكام القرآن ٣/٤٠٩ ــ ٤١٠.

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/٢٩٧.

(3) رواه أبو داود في سننه في كتاب السنة، باب في الخلفاء حديث رقم ٤٦٤٦ ، واللفظ له، والترمذي في جامعه في كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلافة حديث رقم ٢٢٢٦ .

(4) أحكام القرآن لابن العربي ٣/٤١٠ ــ ٤١١.

(5) رواه أبو داود في سننه في كتاب الفتتن باب ما ذكر في الفتن ودلائلها، حديث رقم ٤٢٥٢، واللفظ له، وابن ماجة في سننه في كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن حديث رقم ٣٩٥٢ .

(6) أحكام القرآن لابن العربي ٣/٤١٢.

(7) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/١٩٨.

وأجاب عن هذا الإمام أبو بكر، فقال: « قلنا لهم: هذا وعد عام في النبوة والخلافة وإقامة الدعوة وعموم الشريعة بنفاذ الوعد في كل أحد بقدره وعلى حاله، حتى في المفتين والقضاة والأئمة، وليس للخلافة محل تنفيذ فيه هذه الموعدة الكريمة، إلا من تقدم من الخلفاء الأربعة »[١].

ولا شك أن الآية تدل على صحة الخلفاء الراشدين، وأن الله وعدهم ووفاهم، فاستخلفهم في الأرض، وأبدلهم بعد خوفهم أمنا، قال مالك: « هذه الآيات نزلت في أبي بكر وعمر »، وقال الضحاك في كتاب النقاش: « هذه الآية تتضمن[٢] خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، لأنهم أهل الإيمان وعملوا الصالحات، وقد قال رسول الله ﷺ: « الخلافة بعدي ثلاثون »، ذكره القرطبي[٣].

ولكن لا تختص بالخلفاء الراشدين كما قرره أبو بكر — رحمه الله —، فقد اعترض عليه القرطبي فقال: « هذه الحال لم تختص بالخلفاء الأربعة ﷺحتى يخصوا بها من عموم الآية، بل شاركهم في ذلك جميع المهاجرين وغيرهم ».

واستدل على قوله من جهتين:

« **الأولى**: ألا ترى إلى إغزاء قريش على المسلمين في أحد وغيرها وخاصة الخندق حتى أخبر الله تعالى عن جميعهم فقال: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝﴾[٤].

---

[١] أحكام القرآن ٣/٤١٢.

[٢] أحكام القرآن ٣/٤١١ — ٤١٢.

[٣] الجامع لأحكام القرآن ١٢/٩٧.

[٤] سورة الأحزاب الآية: ١٠-١١

ثم إن الله رد الكافرين لم ينالوا خيرا، وأمن المؤمنين وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم، وهو المراد بقوله: ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ »، ثم قال: « وهكذا الصحابة مستضعفين خائفين، ثم إن الله أمنهم ومكنهم وملكهم، فصح أن الآية عامة لأمة محمد ﷺ غير مخصوصة ».

الثانية: قال: « التخصيص لا يكون إلا بخبر ممن يجب له التسليم، ومن الأصل المعلوم التمسك بالعموم »[(١)].

وكذلك ممن رجح العموم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[(٢)].

فنستخلص مما سبق أن الآية لاشك أنها تدل على صحة خلافة الخلفاء الأربعة، وأنهم أولى الناس بالدخول في الآية، ولكنها ليست خاصة بهم بل تعم كل المهاجرين والأنصار ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم ﷺ.

ومن الآيات التي استدل بها العلماء أيضا على صحة خلافة الخلفاء الراشدين، قوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾[(٣)].

فهذه تدل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين، لأن الله نصرهم على أعدائهم لأنهم نصروه، فأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وقد مكن لهم واستخلفهم في الأرض[(٤)].

وأيضا مما استدل به العلماء، قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[(٥)].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/٢٩٨ ــ ٢٩٩.

(٢) أضواء البيان ٥/٧٠٥.

(٣) سورة الحج الآية: ٤٠ .

(٤) أضواء البيان ٥/٧٠٣.

(٥) سورة الفاتحة الآيتان ٦-٧ .

قال محمد الأمين الشنقيطي: « يؤخذ من هذه الآية الكريمة صحة إمامة أبي بكر الصديق ﷺ، لأنه داخل فيمن أمرنا الله في السبع المثاني والقرآن العظيم بأن نسأله أن يهدينا صراطهم، فدل ذلك على أن صراطهم هو الصراط المستقيم، وقد بين الذين أنعم الله عليهم فعد منهم الصديقين ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[1].

وقد بين ﷺ أن أبا بكر ﷺ من الصديقين اتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم، والذين أمرنا الله أن نسأله الهداية إلى صراطهم، فلم يبقى لبس في أن أبا بكر الصديق ﷺ على الصراط المستقيم وأن إمامته حق »[2].

وأيضا كما دلت الآية على صحة خلافة أبي بكر الصديق، لأنه داخل في قوله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾، وصراط الذي أنعم الله عليهم هم النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فإن عمر وعثمان وعلي ﷺ قد نص نبينا محمد ﷺ أنهم شهداء في عدة أحاديث، منها لما اهتز جبل حراء قال ﷺ: « اسكن حراء فإن عليك نبي أو صديق أو شهيد »[3]، وكان عليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص ﷺ[4].

فهؤلاء من الذين أنعم الله عليهم، وأمرنا باتباع صراطهم والأخذ به، فدل ذلك على صحة خلافتهم، رضي الله عنهم وأرضاه.

وأيضا مما يدل على صحة خلافة أبي بكر ﷺ ما جاء في الأحاديث من التصريح بولايته أو بالتلميح، منها ما جاء عنه ﷺ أنه قال لعائشة: « ادعي لي أباك وأخاك، حتى

---

[1] سورة النساء الآية: ٦٩

[2] أضواء البيان ١/٣٦.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل طلحة والزبير، حديث رقم ٢٤١٧ .

[4] رواه مسلم ٤/١٨٨٠.

أكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف عليه الناس من بعدي »، ثم قال: « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر »، فعلم أن الله لا يولي إلا أبا بكر، والمؤمنون لا يبايعون إلا أبا بكر »[1]، وغيرها من الأحاديث.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، حديث رقم ٧٢١٧ ولفظه: « بل أنا وارأساه لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون ».

المبحث السادس

إمامة المفضول

إمامة المفضول من المسائل التي اختلف فيها العلماء، أشار إليه الإمام أبو بكر ابن العربي ــ رحمه الله ــ والذي رجحه ــ رحمه الله ــ أنها تجوز إمامة المفضول، وأوضح ــ رحمه الله ــ المفاسد التي تترتب على حل ولاية المفضول[١] من تشتيت الكلمة وتفريق الأمة، فقال: « وأن ولاية المفضول نافذة، وإن كان هنالك من هو أفضل منه إذا عقدت له، لما في حلها أو طلب الأفضل من استباحة ما لا يباح وتشتيت الكلمة وتفريق أمر الأمة »[٢].

وإمامة المفضول فيها خلاف بين العلماء، كما ذكره أبو بكر ابن العربي ــ رحمه الله ــ، والمقصود بهذا الشرط هل يجب أن يكون الإمام أفضل أهل زمانه؟ أو يجوز أن يولى المفضول مع وجود الفاضل؟

وقد انقسم الناس في هذا مذهبين:

المذهب الأول: القول بالجواز، قال به عامة أهل السنة والزيدية وبعض المرجئة وبعض الخوارج وبعض المعتزلة .

قال ابن حزم: « وذهبت طائفة من الخوارج وطائفة من المعتزلة وطائفة من المرجئة وجميع الزيدية من الشيعة وجميع أهل السنة إلى أن الإمامة جائزة لمن غيره أفضل منه »[٣].

وقال الماوردي ــ رحمه الله ــ: « وقال الأكثر من الفقهاء والمتكلمين: تجوز إمامته وصحت بيعته »[٤] [أي:- إمامة المفضول].

---

[١] انظر: العواصم من القواصم. ١٩٦.

[٢] انظر: العواصم من القوصم بتحقيق محب الدين ٢١٠.

[٣] الفصل لابن حزم ٥/٥.

[٤] الأحكام السلطانية للماوردي ص٨.

ومما احتج به أهل هذا القول أن أبا بكر قال يوم السقيفة: « قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين » يعني: أبا عبيدة، وعمر، وأبو بكر أفضل منهما بلا شك.

وأيضا دعت الأنصار إلى بيعة سعد بن عبادة، وفي المسلمين عدد كثير أفضل منه .

قال ابن حزم: « وما نعلم لمن قال إن الإمامة لا تجوز إلا لأفضل من يوجد حجة أصلا، لا من قرآن ولا من سنة ولا من إجماع ولا من صحة عقل ولا قياس ولا قول صاحب، وما كان هكذا فهو أحق قولا بالاطراح »[١].

وأيضا مما احتج به أن عمر ﷺ عهد إلى ستة رجال، ولا بد أن لبعضهم على بعض فضلا، وأيضا لما سلم الأمر الحسن إلى معاوية رضي الله عنهما جميعا، وفي بقايا الصحابة من هو أفضل من معاوية فكلهم بايع معاوية.

قال ابن حزم: « وهذا إجماع منهم ﷺ، وقد أجمعت الأمة على أنه إن بويع أحدهم فهو الإمام الواجبة طاعته، وفي هذا إطباق منهم على جواز إمامة المفضول »[٢].

وقال الماوردي: « ولا يكون وجود الأفضل مانعا من إمامة المفضول إذا لم يكن مقصرا عن شروط الإمامة، كما يجوز في ولاية القضاء تقليد المفضول مع وجود الأفضل، لأن زيادة الفضل مبالغة في الاختيار، وليست معتبرة في شروط الاستحقاق »[٣].

وكذلك مبايعة الصحابة كابن عمر وغيره يزيد بن معاوية، رغم وجود من هو أفضل منه في أصحاب نبينا محمد ﷺ.

المذهب الثاني: بعدم جواز إمامة المفضول وهو قول بعض الخوارج وبعض المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الرافضة، ذكر ذلك ابن حزم في الفصل[٤].

---

(١) الفصل ٥/٥.

(٢) المرجع السابق ٥/٥ .

(٣) الأحكام السلطانية ٨ .

(٤) الفصل لابن حزم ٥/٥ .

وهو قول الجاحظ كما ذكره الماوردي[1]، وهذا القول ليس له دليـــل، لا مـــن كتاب ولا من سنة صحيحة كما قال ابن حزم، الراجح هو القول الأول، لإجماع مـــن كان موجودا من الصحابة على صحة خلافة معاوية ﷺ وللأدلة الأخرى لذلك.

ولكن إن أمكن أن يختار أهل الحل والعقد الأفضل فلا شك أنه أفضل وأحســـن، وإن لم يمكن فلا حرج من تولية المفضول، وخصوصا إذا خشي من ترتب مفاسد في تولية الأفضل مـــن استباحة الدماء وتشتيت الكلمة وتفريق الأمة.

[1] الأحكام السلطانية للماوردي ص ٨ .

الفصل الثاني

الصحابة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : بيان معنى الصحبة.

المبحث الثاني : شرف الصحبة ومكانتها.

المبحث الثالث : المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما وموقفه فيما شجر بين الصحابة ﷺ.

المبحث الرابع : دفاعه عن صحابة رسول الله ﷺ.

المبحث الأول

بيان معنى الصحبة

تعريف الصحابة:

عرف أبو بكر ــ رحمه الله ــ الصحابي من جهة اللغة فقال: « كل من خالط رجلا بمجالسة أو معاقدة فهو صاحبه »[١].

وقال ابن منظور: « وكل ما لازم شيئا فقد صحبه، الصاحب: المعاشر »[٢].

وقال أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني[٣]: « لا خلاف بين أهل اللغة في أن قول صحابي مشتق من الصحبة، وأنه ليس مشتقا من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صاحب غيره قليلا كان أو كثيرا، وكذا جميع الأسماء المشتقة من الأفعال، ولذلك يقال: صحبت فلانا حولا وشهرا ويوما وساعة، فيوقع اسم الصحبة لقليل ما يقع عليه منها وكثيرة، قال: وهذا يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة، هذا هو الأصل »[٤].

وأما التعريف الاصطلاحي:

فقال أبو بكر: « فأصحاب النبي ﷺ من رآه واختلفوا فيمن ولد في زمانه وعلى الرؤية مع الإيمان المعول »[٥].

إذا فأبو بكر ــ رحمه الله ــ يشترط الرؤية مع الإيمان وهذا هو الصحيح كما سيأتي، وأصح ما قيل في تعريف الصحابي ما نقله الحافظ ابن حجر حيث قال: « وأصح

---

(١) عارضة الأحوذي ١٢٣/١٣.

(٢) لسان العرب (٢٨٧/٧)، مادة (صحب).

(٣) هو أبو بكر محمد بن الطيب ابن محمد الباقلاني، من كبار علماء الكلام، له مصنفات، توفي سنة ٤٠٣هـ، وفيات الأعيان (٤٨١/١).

(٤) أسد الغابة ١٩/١. فتح المغيث للسخاوي ٩٤/٣.

(٥) عارضة الأحوذي (١٢٣/١٣).

ما وقفت عليه ـــ أي في تعريف الصحابي ـــ أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً بـــه ومات على الإسلام ».

ثم شرح التعريف فقال: « فيدخل فيمن لقيه، من طالت مجالسته أو قصـــرت، ومن روى عنه أو لم يرو عنه، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالســه، ومن لم يره لعارض كالعمى، ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافراً، ولو أسلم بعد ذلــك إذا لم يجتمع به مرةً أخرى، وقولنا [به] يخرج من لقيه مؤمناً بغيره، كمن لقيه من مؤمن أهل الكتاب قبل البعثة، ثم قال: وخرج بقولنا [ومات على الإسلام] من لقيه مؤمناً بـه ثم ارتد ومات على ردته، والعياذ بالله كعبيد الله بن جحش، ثم قال: ويدخل فيه مـــن ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت، سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أو لا، وهذا هـــو الصحيح المعتمد »[1].

إذاً فالتعريف الصحيح للصحابي، يشترط رؤية الرسول ﷺ، والإيمان به والمـــوت على ذلك، وأما كونه يولد في زمانه ولا يراه، فهذا ليس بصحابي، بل من آمن بـــه في حياته ﷺ ولم يره لم يعد صحابياً مثل النجاشي.

---

[1] الإصابة ١/٧-٨ ملخصاً، شرح نخبة الفكر ص١٧٦ النكت على نزهة النظر ص١٤٨ يانع الثمن لحماد الأنصاري ٤٣ .

المبحث الثاني

شرف الصحبة ومكانتها

إن من أعلى الكمال شرف صحبته عليه أفضل الصلاة والسلام، وذلك لهجرتهم مع نبينا محمد ﷺ، والجهاد، ونصرة الإسلام، وبذل الأنفس والأموال، وقتل الآباء والأبناء نصرة لله سبحانه ونصرة لنبيه ﷺ، وأبو بكر ابن العربي ــ رحمه الله ــ يقول بفضل الصحابة ﷺ ويحبهم ويواليهم ويدافع عنهم.

قال رحمه الله: « وفائدة صحبته في الدنيا الفتح، وفي الآخرة النجاة من النار، قال النبي عليه السلام: " يغزوا فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صحب رسول الله؟ فيقال: نعم، فيفتح "[1] وذكر ثلاث درجات.

وقال النبي ﷺ: " لن يدخل النار أحد رآني ولا رأى من رآني "[2]، فذكر درجتين، وكذلك ذكر في الخيرية ثلاث درجات فقال: " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" [3] »[4].

وقسم رحمه الله شرف الصحبة إلى ست، وقال: « وشرف الصحبة في أبواب أمهاتها ست[5]:

الأولى: في الخلطة، وما ظنك بدرجة صاحبك فيها الله سبحانه وتعالى والنبي ﷺ، وذلك بالإيمان والاتباع.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب من حديث أبي سعيد، حديث رقم ٢٨٩٧ ، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة، حديث رقم ٢٥٣٢ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣٥٧/١٧)، وفي الأوسط (٣٠٨/١٧)، وكذلك عزاه الهيثمي إليه في الكبير والأوسط ومجمع الزوائد (٢١/١٠) وقال: وفيه من لم أعرفهم.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، حديث رقم ٣٦٥١ ، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث رقم ٢٥٣٣-٢١٢ .

(٤) العارضة (١٢٦/١٣).

(٥) بينما ذكر سبعاً وجعل السابعة الزوجية.

الثانية: بالهجرة، وقد ذكر الله فضلها وأثنى عليها وذلك مشهور، ومن ترك أهله وولده وماله في الله فذلك ولي الله وثاني رسول الله.

الثالثة: بالنصرة، فقد قال رسول الله ﷺ: "لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار"[1].

وقال في الأنصار: "كرشي، يعني: جماعتي، وعيبتي يعني: موضع سري وأرفع ما عندي".

وقد قال النبي ﷺ: " اللهم اغفر للأنصار ولأبنائهم وأبناء أبنائهم ولنسائهم "[2].

الرابعة: بالقرابة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[3].

قال ابن عباس يعني: قريشا، وهم بنو النضر، وقال أبو بكر الصديق: « والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي »[4]، وقال أبو بكر: « ارقبوا محمدا في أهل بيته وهم آل علي وأزواجه ﷺ ».

الخامسة: البدرية، لقوله ﷺ في أهل بدر: " اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم "[5].

السادسة: الرضوانية، لما قال الله فيهم: ﴿۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[6].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، حديث رقم ٣٧٧٩ .

[2] أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: « هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله »، حديث رقم ٤٩٠٦ ، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الأنصار، حديث رقم ٢٥٠٦ بأطرافه، واللفظ له بدون "ولنسائهم"، ولفظ "لنسائهم" عند ابن حبان في صحيحه حديث رقم ٧٢٨١ .

[3] سورة الشورى الآية: ٢٣ .

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب قرابة الرسول ﷺ، حديث رقم ٣٧١٢ وهو جزء من حديث، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب قول النبي لا نورث، ما تركنا فهو صدقة، حديث رقم ١٧٥٩.

[5] جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، حديث رقم ٤٢٧٤ ، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حاطب بن أبي بلتعة وأهل بدر، حديث رقم ٢٤٩٤ .

[6] سورة الفتح الآية: ١٨ .

السابعة: الزوجية، لأن مبرهم والإحسان إليهم كالإحسان إلى النبي ﷺ كمبرته، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ...﴾[1] وحرمته باقية عليهم لبقاء زوجيته فيهم، ثم تتفاوت الدرجات في هذه الرتب، فمن اجتمعت فيه خمسة فهو أشرف الصحابة قدرا وأعلاه »[2].

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل الصحابة، منها قوله ﷺ: « الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه »[3].

بل قال ابن حزم: إن جميع الصحابة في الجنة، وذلك لشرف صحبتهم، قال ابن جعفر: قال أبو محمد بن حزم: « الصحابة كلهم في الجنة قطعا، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾[5].

فثبت أن الجميع من أهل الجنة، وأنه لا يدخل منهم أحد النار »[6].

ولكن الصحيح لا نشهد بالجنة إلا لمن شهد له الله ورسوله بالجنة، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية: « ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ

---

[1] سورة الأحزاب الآية: ٥٣ .

[2] عارضة الأحوذي ١٣/١٢٦.

[3] أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب المناقب، باب في سب أصحاب النبي، حديث رقم ٣٨٦٢ ، وأحمد في مسنده (٤/٨٧)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع.

[4] سورة الحديد الآية: ١٠ .

[5] سورة الأنبياء الآية: ١٠١ .

[6] الإصابة لابن حجر ١/١١ ــ ١٢.

كالعشرة وثابت بن قيس وغيرهما من الصحابة »[1]، والصحابة نرجوا لهم الخير العظيم والأجر الجزيل عند الله سبحانه، لأنهم أفضل الأمة بعد نبيها محمد ﷺ، ويكفي الصحابة شرفا حديث: « لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه »[2].

وقد كان الخلفاء الراشدون يعظمون من كان له صحبة بالنبي ﷺ، حتى ولو كانت صحبته قليلة، وذلك لشرف صحبته مع نبينا محمد ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر: « قد كان تعظيم الصحابة ولو كان اجتماعهم به ﷺ قليلا مقررا عند الخلفاء الراشدين وغيرهم، فمن ذلك ما قرأت في كتاب أخبار الخوارج، تأليف محمد بن قدامة المروزي بخط بعض من سمعه منه في سنة سبع وأربعين ومائتين، قال: حدثنا علي بن الجعد، ثم ساق السند إلى نبيح العنزي، قال: كنت عند أبي سعيد الخدري، ثم ساق سندا آخرا عن نبيح العنزي عن أبي سعيد الخدري، قال: كنا عنده وهو متكي فذكرنا عليا ومعاوية، فتناول رجل معاوية، فاستوى أبو سعيد الخدري جالسا ثم قال: كنا ننزل رفاقا مع رسول الله ﷺ فكنا في رفقة فيها أبو بكر، فنزلنا على أهل أبيات وفيهم امرأة حبلى ومعنا رجل من أهل البادية، فقال للمرأة الحامل: أيسرك أن تلد غلاما؟ قالت: نعم، قال: إن أعطيتني شاة ولدت غلاما، فأعطته فسجع له سجعا، ثم عمد إلى الشاة فذبحها وطبخها، وجلسنا نأكل منها ومعنا أبو بكر، فلما علم بالقصة قام، فتقيأ كل شيء أكل، قال: ثم رأيت ذلك البدوي أتي به عمر بن الخطاب، وقد هجا الأنصار.

---

(1) شرح العقيدة الواسطية ٤١٨.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أبي بكر، حديث رقم ٣٦٧٣ ، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة.

فقال لهم عمر: " لو لا أن له صحبة من رسول الله ﷺ ما أدري ما نـــال فيـــها لكفيتموه، ولكن له صحبة من رسول الله ﷺ قال ابن حجر: ورجال هذا ثقات »[1].

فقد عفى عنه وتركه عمر لأجل صحبته للنبي ﷺ، وذلك لعلمهم بفضل الصحبة وشرفها.

---

[1] الإصابة لابن حجر ١/١٢ـــ١٣.

المبحث الثالث

المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما وموقفه فيما شجر بين الصحابة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما.

المطلب الثاني : موقفه فيما شجر بين الصحابة.

المطلب الأول: المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما.

اتفق أهل السنة والجماعة على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر بن الخطاب .

قال النووي ـــ رحمه الله ـــ: « اتفق أهل السنة والجماعة على أن أفضلهم أبو بكر ثم عمر »[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: « لم يختلف علماء الإسلام في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة، وهو قول مالك وأصحابه وأبي حنيفة » ثم قال: « وممن لا يحصى عدده، فمن له في الإسلام لسان صدق كلهم يجزمون بتقديم أبي بكر وعمر »[2]، وهذا مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، ولكن اختلفوا في تفضيل عثمان على علي رضي الله عنهما.

أما الإمام أبو بكر ابن العربي ـــ رحمه الله تعالى ـــ فيذهب إلى ما ذهب إليه جمهور أهل السنة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، فقال ـــ رحمه الله ـــ: « قد ثبت عن ابن عمر قال: " كنا نقول في زمان رسول الله ﷺ: لا يعدل بأبي بكر أحدا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ "[3]، وهو مذهب مالك، وآخر قول سفيان أن عليا قبل عثمان، وأنا أقول الآن [هذا من كلام ابن العربي]: خير الناس بعد رسول الله ﷺ [أي: من هذه الأمة] أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي »[4].

---

[1] شرح مسلم ١٤٨/١.

[2] منهاج السنة ٢٨٦/٧ ـــ ٢٨٨.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان، حديث رقم ٣٦٩٨ ، وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في التفضيل، حديث رقم ٤٦٢٧ .

[4] عارضة الأحوذي ١٣٨/٩.

وذكر ابن شاهين أيضا بإسناده عن عمرو بن حريث قال: « سمعت علي ابن أبي طالب يقول: " خير الناس بعد رسول الله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان »[١]، وهذا هو قول جمهور أهل السنة، كما قاله النووي[٢].

وقال ابن أبي العز: « وقد روي عن أبي حنيفة تقديم علي على عثمان رضي الله عنهما، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان على علي، وعلى هذا عامة أهل السنة »[٣].

وهذا ما قرره الطحاوي في عقيدة أهل السنة والجماعة، قال: « ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولا لأبي بكر الصديق ﷺ تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب ﷺ، ثم لعثمان ﷺ، ثم لعلي بن أبي طالب ﷺ وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون »[٤].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا الأمر هو ما مستقر عليه أهل السنة والجماعة، حيث قال: « ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وعن غيره من أن خيرة هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي ﷺ، كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة رضوان الله عنهم على تقديم عثمان في البيعة، مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما، بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل، فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربعوا بعلي، وقدم قوم عليا، وقوم توقفوا، لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان »[٥].

---

(١) الكتاب اللطيف لشرح مذهب أهل السنة لابن شاهين ٢٤٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٤٨/١٥.

(٣) شرح الطحاوية ٧٢٧/٢.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٦٩٨/٢.

(٥) انظر: مجموعة الفتاوى ١٥٣/٣.

إذا فهذا ما استقر عليه أهل السنة والجماعة، ومن قـــال بخلافــه فقــد أزرى بالمهاجرين والأنصار كما قال أبو السفيان: « من لم يقدم عثمان على علي فقــد أزرى بالمهاجرين والأنصار »[1].

---

[1] انظر: مجموعة الفتاوى ٤/٤٢٨.

المطلب الثاني: موقفه فيما شجر بين الصحابة

موقفه فيما شجر بين الصحابة ﷺ هو موقف أهل السنة والجماعة كلهم، يثنون على أصحاب رسول الله ﷺ، ويحبون أهل البيت النبوي الشريف، ويترضون عن الجميع، ولا يطلقون ألسنتهم في الوقيعة بهم من أجل ما شجر بينهم، ولا يستقرؤون بعض الهفوات التي صدرت من بعضهم بحسن قصد أو بتأويل، والإمام أبو بكر بن العربي على هذا المعتقد كما سنبينه بعد قليل، بل من أشد المدافعين والذابين عن أصحاب نبينا محمد ﷺ.

أسأل الله أن يجزيه على ذلك خير الجزاء.

وانظر ــ رحمه الله ــ إلى زجره لمن تعرض لهم وأمره له باتباع سبيل المهتدين.

قال أبو بكر ــ رحمه الله ــ: « فأعرضوا عن الغاوين، وازجروا العاوين، وعرجوا عن سبيل الناكثين إلى سنن المهتدين، وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين، وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول الله ﷺ، فقد هلك من كان أصحاب النبي ﷺ خصمه وعوا ما مضى، فقد قضى الله فيه ما قضى، وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقادا وعملا، ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل ناعق اتخذ الدين هملا، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، ورحم الله الربيع بن خثيم[1]، فإنه لما قيل له: قتل الحسين! قال: أقتلوه؟ قالوا: نعم، فقال: ﴿ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ

---

[1] هو عائذ خثيم، أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة ٦٥هـ. سير أعلام النبلاء ٤/٢٥٨ .

يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ [(١)]، ولم يزد على هذا أبدا، فهذا العقل والدين، والكف عـن أحـوال المسلمين والتسليم لرب العالمين»[(٢)].

وبين في موضع آخر أنه لا يحمل الغل على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ بـل يدعوا لهم ويستغفر لهم.

فقال ــ رحمه الله ــ: « ولا ننطوي على غل لأحد من أصحاب محمد ﷺ بـل نقول: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[(٣)(٤)].

وانظر إلى كلامه ــ رحمه الله ــ وأمره أن نلاقي هذه الفتن كما لاقها ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما، وكذلك حثه على الاقتداء في ذلك بالأئمة الأخيار، قـال ــ رحمه الله ــ: « وانظروا إلى ابن عباس وعقله وإقباله على أمر نفسه، وانظروا إلى ابن عمر وسنه وتسليمه للدنيا نبذة لها، ولو كان للقيام وجه لكان أولى بذلك ابن عبـاس، فإن ولدي أخيه عبيد الله قد ذكر أنهما قتلا ظلما، ولكن رأى بعقله أن دم عثمـان لم يخلص إليه، فكيف بدم ولدي عبيد الله!.

وأن الأمر زاهق، قد خرجا عنه حفظا للأصل، وهو اجتماع أمر الأمـة وحقـن دمائها وائتلاف كلمتها، ودع الأمر يتولاه أسود مجدع حسبما أمر به صاحب الشـرع صلوات الله وسلامه، وكل منهم عظيم القدر مجتهد، وفيما دخل فيه مصيب مـأجور، ولله فيه حكم قد أنفذه، وحكم في الآخرة قد أحكمه وفرغ منه.

---

(١) سورة الزمر الآية: ٤٦ .

(٢) العواصم من القواصم محب الدين ١٧٢.

(٣) سورة الحشر الآية: ١٠ .

(٤) العواصم من القواصم محب الدين ٢٠٥ ــ ٢٠٦.

فاقدروا هذه الأمور مقاديرها، وانظروا بما قابلها ابن عباس وابن عمر فقابلوها، ولا تكونوا من السفهاء الذين يرسلون ألسنتهم وأقلامهم بما لا فائدة لهم فيه، ولا يغني من الله ولا من دنياهم شيئا عنهم، وانظروا إلى الأئمة الأخيار وفقهاء الأمصار، هل أقبلوا على هذه الخرافات وتكلموا في مثل هذه الحماقات؟ بل علموا أنها عصبيات جاهلية، وحمية باطلة، ولا تفيد إلا قطع الحبل بين الخلق وتشتيت الشمل واختلاف الأهواء، وقد كان ما كان... وقال: الإخباريون ما قلوا فإما سكوت، وإما اقتداء بأهل العلم، وطرح لسخافات المؤرخين والأدباء، والله يكمل علينا وعليكم النعماء برحمته »[١].

وقال أبو بكر أيضا ــ رحمه الله ــ: « فيجب على كل مسلم الرضا عن جميعهم وترك الاعتراض عليهم، فقد ثبت أن النبي ﷺ قال: " لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه "[٢]، وكان غرض الملاحدة أن نتطرق إليهم بالقول وينسب الخذلان في الدين والتكالب على الدنيا والانهماك في المعاصي إليهم، وقدرهم أجل والأمساك لهم عن ذلك أسلم وأكمل »[٣].

وقال عن قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾[٤]: « فلم يخرجهم

---

[١] العواصم من القواصم محمد ابن العربي تحقيق محب الدين ص٢١٥ ــ ٢١٦، فرحمه الله كأنه يتكلم عن عصرنا من الكتاب المعاصرين، ممن تسممت أفكارهم وممن تعلموا في بلاد الغرب، بحمل أفعال بعض الصحابة على الطمع في الدنيا والمال والرياسة، والتنقص منهم وعدم معرفة قدرهم، نسأل الله السلامة والعافية.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، حديث رقم ٣٦٧٣ ، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، حديث رقم ٢٥٤٠ .

[٣] عارضة الأحوذي (٩/٧٣ ــ ٧٤).

[٤] سورة الحجرات الآية: ٩ .

عن الإيمان بالبغي بالتأويل ولا سلبهم اسم الأخوة بقوله بعده: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ... ﴾[1] »[2].

فالواجب على المسلم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة ﷺ مسلك أهل السنة والجماعة، وهو الإمساك عما حصل بينهم ﷺ، ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق، والمجتهد منهم له أجران، والمخطئ له أجر لأنهم إنما فعلوا ذلك متأولين، ويريدون الحق لا عن هوى وطلب دنيا.

قال أبو عثمان الصابوني مبينا عقيدة السلف في ذلك: « ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبا لهم ونقصا فيهم، ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم »[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة: « ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: " إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون »[4].

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ حاكيا اتفاق أهل السنة على وجوب المنع من الطعن على واحد من الصحابة بسبب ما حصل بينهم ولو عرف المحق منهم: « واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم

---

[1] سورة الحجرات الآية: ١٠ .

[2] العواصم من القواصم ص١٦٤.

[3] عقيدة أصحاب الحديث لأبي عثمان إسماعيل الصابوني ص١٠٧.

[4] العقيدة الواسطية لابن تيمية مع شرحها لعبد الرزاق عقيفي ص ١١٦ .

من ذلك ولو عرف المحق منهم، لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرا واحدا، وأن المصيب يؤجر أجرين »[1].

---

(1) فتح الباري ٣٤/١٣.

المبحث الرابع

دفاعه عن صحابة رسول الله ﷺ

أ
٨/

يعتبر الإمام أبي بكر بن العربي من أقوى من ألف في الدفاع عن أصحاب رسول الله ﷺ وذب عنهم، وتتبع ما ينقم عليهم أهل الأهواء، فأبطلها بالحجة والبرهان، وأي شرف أعظم من الذب عن أعراض خير هذه الأمة بعد نبيها وهم صحابته ﷺ، والرسول ﷺ يقول: « من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة »[1]، فإذا كان هذا في الذب عن أخيك المسلم، فكيف بأصحاب النبي محمد ﷺ، ولذلك حذر أبو بكر ـــ رحمه الله ـــ من الروايات التي تنقل في كتب التواريخ والأدب وأمر بالأعراض عنها، لأنها لم يصح منها إلا القليل فقال ـــ رحمه الله ـــ: « والناس إذا لم يجدوا عيبا لأحد وغلبهم الحسد عليه وعدواتهم له أحدثوا له عيوبا، فاقبلوا الوصية ولا تلتفتوا إلا إلى ما صح من الأخبار، واجتنبوا كما ذكرت لكم أهل التواريخ، فإنهم ذكروا عن السلف أخبارا صحيحة يسيره ليتوصلوا بذلك إلى رواية الأباطيل، فيقذفوا في قلوب الناس ما لا يرضاه الله تعالى، وليحتقروا السلف ويهونوا الدين، وهو أعز من ذلك وهم أكرم منا، فرضي الله عن جميعهم، ومن نظر إلى أفعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الهتوك التي يختلقها أهل التواريخ، فيدسونها في قلوب الضعفاء »[2].

ونحن هنا سنتكلم عن أهم المسائل في دفاعه عن الصحابة، وإلا لو تكلمنا عن ذلك كله لاحتاج إلى رسالة مستقلة، لأنه مؤلف في كتاب مستقل، فمن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتاب العواصم من القواصم في دفاعه عن عثمان ﷺ وأرضاه.

ذكر أبو بكر ابن العربي ـــ رحمه الله ـــ في كتابه العواصم من القواصم أن بعض

---

[1] أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم حديث، رقم ١٩٣١ ، وقال: حديث حسن. وأحمد في مسنده ٦/٤٥٠ .

[2] العواصم من القواصم ص٢٢٥.

المتعلقين بروية كذابين زعموا أن عثمان ﷺ جاء في ولايته بمظالم ومناكير، فذكرها مظلمة مظلمة، ردها الواحدة تلو الأخرى، مدافعا عن أمير المؤمنين عثمان ﷺ وأرضله، فنذكر هنا أهمها.

الشبهة الأولى:

أنه ضرب ابن مسعود ومنعه عطاءه، وضرب عمارا حتى فتق أمعاءه.

الرد على الشبهة الأولى:

قال ـــ رحمه الله ـــ: « أما ضربه لابن مسعود ومنعه عطاءه فزور، وضربه لعملو إفك مثله، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبدا، وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن تشتغل بها، لأنها مبنية على باطل، ولا يبنى حق على باطل، ولا تذهب الزمان في مماشاة الجهال، فإن ذلك لا آخر له »[1].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن ابن مسعود أثنى على توليته عثمان بالخلافة، فقال عند قول الرافضة: إن ابن مسعود كان يطعن عليه ويكفره قال شيخ الإسلام ـــ رحمه الله ـــ: « إن هذا من الكذب الذي على ابن مسعود، فإن علماء أهل النقل يعلمون أن ابن مسعود ما كان يكفر عثمان، بل لما ولي عثمان وذهب ابن مسعود إلى الكوفة قال ولينا أعلانا ذا فوق و لم نأل، ثم قال: وأما زعمهم أنه لما حكم ضرب ابن مسعود حتى مات، فهذا كذب باتفاق أهل العلم، فإنه لما ولي أقر ابن مسعود على ما كان عليه من الكوفة، ثم قال: وما مات ابن مسعود من ضرب عثمان أصلا، ثم يقال بتقدير أن يكون ابن مسعود طعن على عثمان رضي الله عنهما فليس جعل ذلك قدحا في عثمان بأولى من جعله قدحا في ابن مسعود، وإذا كان كل واحد منها فيما قاله أثابه الله على حسناته

---

[1] العواصم من القواصم ص ٨٣-٨٥ ، ط/ دار البشائر

وغفر له خطأه، وإن كان صدر من أحدهما ذنب فقد علمنا أن كلا منهما ولي الله وأنه من أهل الجنة وأنه لا يدخل النار، فذنب كل منهما لا يعذبه الله عليه في الآخرة »[1].

وأما عمار بن ياسر فكما قال أبو بكر ابن العربي لو ضربه حتى فتق أمعاءه لما عاش أبدا، وقد عاش ﷺ حتى زمن علي ﷺ، وشهد صفين وقتل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وعثمان أفضل من كل من تكلم فيه، وهو أفضل من ابن مسعود وعمار وأبي ذر ومن غيرهم من وجوه كثيرة، كما ثبت ذلك بالدلائل الكثيرة، فليس جعل كلام المفضول قادحا في الفاضل بأولى من العكس، بل إن أمكن الكلام بينهما بعلم وعدل وإلا تكلم بما يعلم من فضلهما ودينهما، وكان ما شجر بينهما وتنازعا فيه أمره إلى الله، ولهذا أوصوا بالأمساك عما شجر بينهم، لأنا لا نسأل عن ذلك، كما قال عمر بن عبد العزيز: تلك دماء طهر الله منها يدي فلا أحب أن أخضب بها لساني.

وقال آخر: « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون »، لكن إذا ظهر مبتدع يقدح فيهم بالباطل فلابد من الذب عنهم، وذكر ما يبطل حجته بعلم وعدل، ثم قال: وفي الجملة فإذا قيل إن عثمان ضرب ابن مسعود أو عمارا فهذا لا يقدح في أحد منهم، فإنا نشهد أن الثلاثة في الجنة وأنهم من أكابر أولياء الله المتقين، وقد قدمنا أن ولي الله قد يصدر منه ما يستحق عليه العقوبة الشرعية، فكيف التعزير، وقد ضرب عمر بن الخطاب أبي بن كعب بالدرة لما رأى الناس يمشون خلفه، فقال: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع، فإن كان عثمان أدب هؤلاء، فإما أن يكون عثمان مصيبا في تعزيرهم لاستحقاقهم ذلك، ويكون ذلك الذي عزروا عليه تابوا منه، أو كفر عنهم بالتعزير وغيره من المصائب، أو بحسناتهم العظيمة أو

---

[1] انظر: منهاج السنة ملخصا ٣/١٩١ ـــ ١٩٢.

بغير ذلك، وإما أن يقال كانوا مظلومين مطلقا والقول في عثمان كالقول فيهم وزيادة، فإنه أفضل منهم وأحق بالمغفرة والرحمة، وقد يكون الإمام مجتهدا في العقوبة مثابا عليها، وأولئك مجتهدون فيما فعلوه لا يأثمون به، بل يثابون عليه لاجتهادهم إلى آخر كلامه ــ رحمه الله ــ »[١].

الشبهة الثانية:

ومما نقموا على عثمان أيضا ﷺ أنه ولى معاوية بن أبي سفيان ﷺ الشام، وأحدث من الفتن ما أحدثه.

الرد على الشبهة الثانية:

أجاب أبو بكر ابن العربي ــ رحمه الله ــ بقوله: « إن معاوية ولاه عمر وجمع له الشامات كلها وأقره عثمان، بل إنما ولاه أبو بكر الصديق ﷺ، لأنه ولى أخاه يزيد واستخلفه يزيد، فأقره عمر لتعلقه بولاية أبي بكر لأجل استخلاف واليه له، فتعلق عثمان بعمر فأقره، فانظر إلى هذه السلسلة ما أوثق عراها، ولن يأتي أحد بمثلها أبدا بعدها »[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ: « إن معاوية إنما ولاه عمر بن الخطاب ﷺ لما مات أخوه يزيد بن أبي سفيان ولاه عمر مكان أخيه واستمر في ولاية عثمان، وزاده عثمان في الولاية، وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة، وكان رعيته يحبونه، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: " خيار أئمتكم في الدين من تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم"[٣]، وإنما ظهر الإحداث من معاوية، أي: الفتنة لما قتل عثمان، ولما قتل عثمان

---

[١] منهاج السنة لابن تيمية ١٩٢/٣ ــ ١٩٣.

[٢] العواصم من القواصم ص٩٦ .

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإجارة باب خيار الأئمة وشرارهم حديث رقم ١٨٥٥ .

كانت الفتنة شاملة لأكثر الناس، لم يختص بها معاوية، بل كان معاوية أطلب للسلامة من كثير منهم، وأبعد من الشر من كثير منهم »[١].

الشبهة الثالثة:

ومما أخذ على عثمان ﷺ أنه ولى الوليد بن عقبة وهو من ظهر منه شرب الخمر وصلى بالناس وهو سكران.

الرد على الشبهة الثالثة:

قال أبو بكر ردا عليهم: « وأما الوليد بن عقبة فإن الناس على فساد النيات أسرعوا السيئات قبل الحسنات، فذكر الافترائيون أنه إنما ولاه للمعنى الذي تكلم به، قال عثمان ﷺ: " ما وليت الوليد لأنه أخي، وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله ﷺ وتوأمة أبيه "، والولاية اجتهاد، وقد عزل عمر ﷺ سعد بن أبي وقاص وهو أقل منه درجة »[٢].

وأيضا أقام عليه عثمان الحد كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال ـ رحمه الله ـ: « وعثمان ﷺ لما علم أن الوليد بن عقبة شرب الخمر طلبه وأقام عليه الحد، وكان يعزل من يراه مستحقا للعزل، ويقيم الحد على من يراه مستحقا لإقامة الحد عليه »، وقال في موضع آخر: « طلبه وأقام عليه الحد بمشهد من علي بن أبي طالب وقال لعلي: " قم فاضربه، فأمر علي الحسن بضربه، فامتنع وقال لعبد الله بن جعفر: قم

---

[١] منهاج السنة ١٨٩/٣.

[٢] العواصم من القواصم ص ٩٩-١٠٢ ط/ دار البشائر.

فاضرب، فضربه أربعين، ثم قال: أمسك، ضرب رسول الله ﷺ أربعين، وأبو بكر أربعين وعمر ثمانين، وكل ذلك سنة وهذا أحب إلي "[1].

" فإذا أقام عليه الحد برأ " »[2]، وقد فعل الواجب، وأيضا فقد حد عمر رضي الله عنه قدامة بن مظعون على الخمر وهو أمير وعزله، وقيل: إنه صالحه، وليست الذنوب مسقطة للعدالة إذا وقعت منها التوبة[3].

ولم يكن أول من ولى الوليد بن عقبة هو عثمان، بل كان في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه موضع سر الرسائل الحربية التي كان يوجهها الخليفة إلى خالد بن الوليد، في وقعة المزار مع الفرس سنة اثنا عشر، ثم وجهه أبو بكر رضي الله عنه مددا إلى قائده عياض بن غنم الفهري، وفي سنة ثلاث عشر كان الوليد بن عقبة يلي لأبي بكر صدقات قضاعه، ثم لما عزم على فتح الشام كتب إلى عمرو بن العاص وإلى الوليد بن عقبة يدعوهما لقيادة جيوش الإسلام، فسار عمرو إلى فلسطين وسار الوليد إلى شرق الأردن[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « والشيعة ينكرون على عثمان أنه ولى أقاربه من بني أمية، ومعلوم أن عليا ولى أقاربه من قبل أبيه وأمه، فولى عبيد الله بن عباس على اليمن، وولى على مكة والطائف قثم بن عباس، وأما المدينة فولى عليها قيل، إنه ولى سهل بن حنيف وقيل ثمامة بن عباس، وأما البصرة فولى عليها عبد الله بن عباس، وولى على مصر ربيبه محمد بن أبي بكر الذي رباه في حجره.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب حد الخمر، حديث رقم ١٧٠٧ وفيه قصة، وأبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب الحد في الخمر، حديث رقم ٤٤٨٠ .

[2] منهاج السنة ١٨٧/٣.

[3] العواصم من القواصم ص١٠٦ ، ط دار البشائر.

[4] انظر: تاريخ الطبري ٧/٤ـ٢٢ ـ ٢٩ ـ ٣٠.

فلماذا تنكرون على عثمان ولا تنكرون على علي رضي الله عنهما »[1].

الشبهة الرابعة:

ومما أخذ على عثمان أنه كتب مع عبده على جمله كتابا إلى ابن أبي السرح في قتل من ذكر فيه، وأنه أمر بقتل محمد بن أبي بكر.

الرد على الشبهة الرابعة:

ذكر أبو بكر القصة ثم فندها وردها.

وقصة ذلك العبد كما ذكر أبو بكر ــ رحمه الله ــ أن أهل الفتنة لما رجعوا راضين بعدما أقنعهم عثمان، إذا راكب يتعرض لهم ثم يفارقهم مرارا، قالوا: مالك؟ قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان، عليه خاتمه إلى عامل مصر أن يصلبهم ويقطع أيديهم وأرجلهم، فأقبلوا حتى قدموا المدينة فأتوا عليا فقالوا له: ألم تر إلى عدو الله كتب فينا بكذا وقد أحل الله دمه؟ قالوا له: فقم معنا إليه، قال: والله لا أقوم معكم، قالوا: فلم كتبت إلينا؟ قال: والله ما كتبت إليكم، فنظر بعضهم إلى بعض، وخرج علي من المدينة فانطلقوا إلى عثمان، فقالوا له: كتبت فينا كذا؟ قال لهم: إما أن تقيموا اثنين من المسلمين أو يميني أني ما كتبت ولا أمرت، وقد يكتب على لسان الرجل ويضرب على خطه وينقش على خاتمه »[2].

وقد حلف أنه لم يكتب شيئا من ذلك، وهو الصادق البار بلا يمين، وأما قولهم إنه أمر بقتل محمد بن أبي بكر فهذا من الكذب المعلوم على عثمان، وكل ذي علم يعلم بحال عثمان وإنصاف له يعلم أنه لم يكن ممن يأمر بقتل محمد بن أبي بكر ولا أمثاله، ولا

---

[1] منهاج السنة ٣/١٧٣ ــ ١٧٦.

[2] العواصم من القواصم ص١١٠ تحقيق محب الدين الخطيب، نشر قصي محب الدين الخطيب.

عرف منه قط أنه قتل أحدا من هذا الضرب، وهو لا يأمر بقتالهم دفاعا عن نفسه، فكيف يبتدي بقتل معصوم الدم، بل إن هناك كتب قد زورت على الصحابة، زعم البغاة أنهم تلقوها من الصحابة، فإذا زوروا على الصحابة ﷺ، فما يمنع أن يزوروا على عثمان[١].

وذكر ابن كثير قال: « وروى ابن جرير من طريق محمد بن إسحاق، أن الصحابة كتبوا إلى الآفاق من المدينة يأمرون الناس بالقدوم على عثمان ليقاتلوه... وهذا كذب على الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، كما كتبوا من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج كتبا مزورة عليهم أنكروها، وهكذا زوروا هذا الكتاب على عثمان أيضا، فإنه لم يأمر به ولم يعلم به أيضا »[٢].

بل إن مما يدل على أن الأمر دبر بليل وأن هذه الرسائل مزورة ما ذكره ابن كثير: « أن الصحابة ذهبوا إلى هؤلاء يؤنبوهم ــ يقصد: قتلة عثمان لما رجعوا إلى المدينة بعد ذهابهم إلى مصر وغيرها ــ على رجوعهم، حتى قال علي لأهل مصل: ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ فقالوا: وجدنا مع بريد كتابا بقتلنا، وكذلك قال البصريون لطلحة، والكوفيون للزبير، وقال أهل كل مصر: إنما جئنا لننصر أصحابنا فقال لهم الصحابة: وكيف علمتم بذلك من أصحابكم وقد افترقتم وصار بينكم مراحل؟ إنما هو أمر اتفقتم عليه، فقالوا: ضعوه على ما أردتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل »[٣].

الشبهة الخامسة:

قول من قال إن الصحابة لم يدافعوا عن عثمان لما أراد أهل الفتنة قتله.

---

[١] انظر: البداية والنهاية ابن كثير ١٩٥/٧.

[٢] البداية والنهاية ١٨٢/٧.

[٣] البداية والنهاية ابن كثير ١٨٢/٧.

الرد على الشبهة الخامسة:

أثبت أبو بكر ابن العربي ـــ رحمه الله ـــ أن الصحابة الموجودين زمن مقتل عثمان كانوا غير راضين عما فعل بعثمان، بل أرادوا أن يقفوا عنه مدافعين، لكن الخليفة الراشد عزم عليهم أن لا يراق دم لأجله، مختارا الشهادة على أن يراق دم من أمـــة محمـــد ﷺ بسببه، فرضي الله عنه وأرضاه، وإليك ما نقله أبو بكر ابن العربي في هذا الأمر.

قال ـــ رحمه الله ـــ: « وقد روى عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: كنت مع عثمـان في الدار، فقال: أعزم على كل من رأى أن عليه سمعا وطاعة إلا كف يـــده وســلاحه، ثم قال: قم يا ابن عمر ـــ وعلى ابن عمر سيفه متقلدا ـــ فأخب ربه الناس »[1].

فخرج ابن عمر والحسن بن علي ودخل أهل الفتنة فقتلوه، وجاء زيد بن ثـــابت فقال له: إن هؤلاء الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله [مرتـــين]، قـــال [عثمان] لا حاجة لي في ذلك، كفوا[2].

وقال له أبو هريرة: اليوم طاب الضرب معك ،قال: عزمت عليك لتخرجن[3].

وكان الحسن بن علي آخر من خرج من عنده، فإنه جاء الحسن والحسين وابن عمـــر وابن الزبير ومروان فعزم عليهم في وضع سلاحهم وخروجهم ولزوم بيوتهم، فقال لـــه الزبـــير ومروان: نحن نعزم على أنفسنا لا نبرح، ففتح عثمان الباب ودخلوا عليه في أصح الأقوال، فقتله المرء الأسود، ثم ذكر الاختلاف في قتله، وقال: فسقطت قطرة من دمه على المصحف على قوله تعالى: " **فسيكفيكهم الله** "، فإنها فيه ما حكت إلى الآن، وروي أن عائشة رضي الله عنـــها قالت: غضبت لكم من السوط ولا أغضب لعثمان من السيف؟ استعتبتموه حتى إذا تركتمـــوه

---

[1] انظر: العواصم من القواصم ص١٣٢ تحقيق محب الدين الخطيب ط السلفية، والبداية والنهاية ١٨٢/٧ ـــ تاريخ خليفة بن خياط ١٧٣.

[2] العواصم من القواصم ص٣٣ ، وتاريخ خليفة بن خياط ١٧٣.

[3] العواصم من القواصم ص١٣٤ ، وتاريخ الطبري ٢٩/٥. تاريخ خليفة بن خياط ١٧٣.

كقند المصفي[1]، ومصتموه موص الأناء، وتركتموه كالثوب المنقى من الدنس ثم قتلتموه[2].

قال مسروق: فقلت لها: هذا عملك كتبت، إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه، فقالت عائشة: والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم سوادا في بياض، قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها[3][4]، بعد أن ساق أبو بكر هذه الروايات التي يبرئ ساحة الصحابة في الإعانة على قتل عثمان أو التخاذل في الدفاع عنه قال: « فهذا أشبه ما روي في الباب، وبه يتبين أن أحدا من الصحابة لم يسع عليه ولا قعد عنه، ولو استنصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء [يقصد أهل الفتنة] عشرين ألفا بلديين أو أكثر من ذلك، ولكنه [أي: عثمان] ألقى بيده إلى المصيبة »[5][6].

ومما يدل أيضا على موقف الصحابة أيضا ما ذكره ابن كثير ــ رحمه الله ــ: « أنه لما بلغ الزبير مقتل عثمان وكان قد خرج من المدينة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم ترحم على عثمان، وبلغه أن الذين قتلوه ندموا، فقال: تبا لهم، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝ ﴾[7].

---

(1) العواصم من القواصم ص١٣٥ ، وتاريخ الطبري ٥/١٢٨.

(2) العواصم ص١٣٦ ، والطبري ٥/ ١٦٥ ــ ١٦٦ تاريخ خليفة بن خياط ص١٧٥ ــ ١٧٦.

(3) وهذا من أهل البغي والظلم والعدوان قاموا بتزوير الكتب على عثمان وغيره من الصحابة، يقودهم في ذلك ابن السوداء عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي ادعى الإسلام زورا وكيدا للإسلام وأهله.

(4) العواصم من القواصم ١٣٥ ــ ١٣٨ تاريخ خليفة بن خياط ص١٧٦.

(5) العواصم من القواصم ص١٣٩ .

(6) وذلك حقنا للدماء، ولا يريد أن يكون ﷺ أولى من أحدث بعده ﷺ حدثا في سفك الدماء فآثر الشهادة فرضي الله عنه وأرضاه، وانتقم الله ممن بغى عليه وظلمه.

(7) سورة يس الآية: ٤٩-٥٠ .

وبلغ علي قتله فترحم عليه وسمع بندم الذين قتلوه فتلا قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

ولما بلغ سعد بن أبي وقاص قتل عثمان استغفر له وترحم عليه، وتلا في حق الذين قتلوه قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[2].

ثم قال سعد: اللهم أندمهم ثم خذهم، وقد أقسم بعض السلف بالله إنه ما مات أحد من قتله عثمان إلا مقتولا، رواه ابن جرير، قال ابن كثير: وهذا الذي ينبغي، فإن دعوة سعد لمستجابة »[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ : « ومن المعلوم المتواتر أن عثمان ﷺ كان من أكف الناس عن الدماء، وأصبر الناس على من نال من عرضه، وعلى من سعى في دمه، فحاصروه وسعوا في قتله، وقد عرف إرادتهم لقتله، وقد جاءه المسلمون من كل ناحية ينصرونه ويشيرون عليه بقتالهم، وهو يأمر الناس بالكف عن القتال ويأمر من يطيعه أن لا يقاتلهم، وروي أنه قال لمماليكه من كف يده فهو حر، وقيل له: تذهب إلى مكة، فقال لا أكون ممن ألحد في الحرم، فقيل له تذهب إلى الشام، فقال: لا أفارق دار هجرتي، فقيل له: فقاتلهم، فقال: لا أكون أول من خلف محمدا ﷺ في أمته بالسيف، فكان صبر عثمان حتى قتل من أعظم فضائله عند المسلمين »[4].

---

(١) سورة الحشر الآية: ١٦.

(٢) سورة الكهف الآية: ١٠٣-١٠٤ .

(٣) البداية والنهاية ١٩٨/٧.

(٤) منهاج السنة ٢٠٢/٣ ــ ٢٠٣.

إذا فنخلص مما سبق أن الصحابة لم يتخاذلوا عن نصرة أمير المؤمنين عثمـــان و لم يشتركوا مع من قتله في البغي عليه ﷺ، وإنما الذي حملهم على عدم قتال هؤلاء طاعـــة عثمان ﷺ، فهو الذي كان ينهاهم عن القتال، إن كانوا يرون أن له سمعا وطاعة لـــه، فهم قد طلبوا ــ منه كما سبق ــ أن يدافعوا عنه.

أما الكتب التي كتبت على لسان علي ﷺ وعائشة وطلحة تحث الناس علـــى الخروج على عثمان فقد أنكروها ﷺ، وهم البررة الصادقون، وإنما زورت عليـــهم، وقد فعلها أهل الفتنة، كما زوروا على عثمان كتابه إلى أمير مصر عبد الله بـــن أبي السرح أن يقتل الخوارج الذين قدموا من مصر، فرضي الله عن عثمان وعن أصحاب نبينا محمد ﷺ.

وهذا أمر لابد أن يكون، فقد أخبر ﷺ أن عثمان يدخل الجنة على بلوى تصيبـــه وأخبر أنه شهيد، وهذا رفع لدرجاته وخذلان لمن ظلمه وبغي عليه.

الشبهة السادسة:

قصة التحكيم وما فيها من الافتراء على الصحابة.

الرد على الشبهة السادسة:

دفاعه عن أبي موسى الأشعري وعمر بن العاص في قصة التحكيم التي بين علـــي ومعاوية رضي الله عنهما، بعد معركة صفين وقد سطرت فيها سخافات من القول علـى أصحاب النبي ﷺ، فوصف أبو موسى الأشعري ﷺ أنه أبله، ضعيف الرأي، مخدوعـــا، وأن عمرو بن العاص كان ذا دهاء ومكر وخديعة.

قال أبو بكر ــ رحمه الله ــ في قصة التحكيم: « وقد تحكـــم النـــاس في التحكيم فقالوا فيه ما لا يرضاه الله، وإذا لحظتموه بعين المروءة دون الديانة رأيتم

سخافة، حمل على سطرها في الكتب الأكثر عدم الدين، وفي الأقل جهل متين والذي يصح من ذلك ما روى الأئمة، كخليفة بن خياط[١] والدارقطني أنه لما خرج الطائفة العراقية مائة ألف، والشامية في سبعين أو تسعين ألفا، نزلوا على الفرات بصفين، إلى أن قال: ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين، ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت، ورفعت المصاحف من أهل الشام ودعوا إلى الصلح، وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل، حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعويين بالحق، فكان من جهة علي أبو موسى الأشعري، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص »[٢].

قال أبو بكر ابن العربي: « وكان أبو موسى رجلا تقيا ثقفا فقيها عالما، أرسله النبي ﷺ إلى اليمن مع معاذ وقدمه عمر وأثنى عليه بالفهم.. وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعا في القول، وأن ابن العاص كان ذا دهاء وأرب حتى ضرب الأمثال بدهائه تأكيدا لما أراد من الفساد، اتبع في ذلك بعض الجهال بعضا وصنفوا فيه حكايات.

وإنما بنوا ذلك على أن عمرا لما عذر أبا موسى في قصة التحكيم صار له الذكر في الدهاء والمكر.

وقالوا: إنهما لما اجتمعا بأذرح من دومة الجندل وتفاوضا اتفقا على أن يخلعا الرجلين، فقال عمرو لأبي موسى: اسبق بالقول، فتقدم فقال: إني نظرت فخلعت عليا عن الأمر، وينظر المسلمون لأنفسهم، كما خلعت سيفي هذا من عنقي أو من عاتقي، وأخرجه من عنقه فوضعه في الأرض، وقام عمرو فوضع سيفه في الأرض وقال: إني

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص١٩١ ــ ١٩٣.

(٢) العواصم من القواصم ص١٧١ .

نظرت فأثبت معاوية في الأمر، كما أثبت سيفي هـذا في عـاتقي وتقلـده، فـأنكر أبو موسى، فقال: عمرو كذلك اتفقنا، وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف.

قال أبو بكر ابن العربي: « هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط، وإنما هو شيء أخبر به المبتدعة ووضعته التاريخية للملوك، فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع[1]. ويرد على هذه القصة بثلاثة أوجه، ذكر منها أبو بكر وجهين:

الوجه الأول: قال أبو بكر: « ما رواه الدارقطني، يدل على أن عمـرو بـن العاص قد اتفق مع أبي موسى على عزل معاوية، وإنما ينظر في بقية الصحابة ممن توفي عنهم وهو راضي.

قال أبو بكر وإنما الذي روى الأئمة الثقات الأثبات أنهما لما اجتمعـا للنظـر في الأمر في عصبة كريمة من الناس منهم ابن عمر ونحوه »[2].

عزل عمر ومعاوية:

وقال أبو بكر: « وذكر الدارقطني بسنده إلى حضين بن المنذر قال: لمـا عـزل عمرو معاوية جاء ــ أي حضين بن المنذر ــ فضرب فسطاطه قريبا من فسطاط معاوية فبلغ نبأه معاوية، فأرسل إليه قال: إنه بلغني عن هذا ــ أي عمرو ــ كذا وكذا فاذهب فانظر ما الذي بلغني عنه، فأتيته فقلت: أخبرني عن ذلك الذي وليت أنت وأبو موسـى كيف صنعتما فيه؟

قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا، ولكن قلت لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، قلت: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكما ففيكما معونـة، وإن

---

[1] العواصم من القواصم ص ١٧١، ط/ دار البشائر .

[2] العواصم من القواصم ص ١٧١.

يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما، قال: فكانت هي التي فتل معاوية منها نفسه، فأتيته فأخبرته ــ أي: فأتى حضين معاوية فأخبره ــ أن الذي بلغه عنه كما بلغه، فأرسل إلى أبي الأعور الذكواني فبعثه في خيله، فخرج يركض فرسه، يقول: أين عدو الله؟ أين هذا الفاسق؟

فخرج عمرو إلى فرس تحت فسطاطه فجال في ظهره عريانا[1]، فخرج يركضه نحو فسطاط معاوية وهو يقول: « إن الضجور قد تحتلب العلبة، يا معاوية إن الضجور قد تحتلب العلبة »[2].

فقال معاوية: أجل وتربذ الحالب فتدق أنفه وتكفأ إناءه[3].

في هذه الرواية تصريح من الدارقطني أن عمر عزل معاوية، ففيها رد على الروايات الأخرى.

الوجه الثاني: ما يدل على أن عمرو بن العاص عنده من الورع ما يحمله على عدم الغش والكذب والخداع المذكور في قصة التحكيم، ما أورده أبو بكر ابن العربي بقوله: « قال الدارقطني: وذكر سند عدلا ربعي عن أبي موسى أن عمرو بن العاص، قال: والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لهما منه شيء لقد غبنا ونقص رأيهما، وايم الله ما كانا مغبونين ولا ناقصا الرأي، ولئن كانا امرأين يحرم عليهما هذا المال الذي أصبناه بعدهما لقد هلكنا وايم الله، ما جاء الوهم إلا من قبلنا »[4].

---

[1] أي عريانا من السرج ليس عليه سرج الركوب.

[2] الضجور: الناقة التي ترغو وتعربد عند الحلب، و(قد تحلب الضجور العلبة) مثل، ومعناه: أن الناقة التي ترغوا قد تحلب ما يملأ العلبة، بضربونه للسيء من الخلق قد يصاب منه الرفق واللين، وللبخيل قد يستخرج منه المال على بخله، كما أن الناقة الضجور قد ينال من لبنها. انظر: تاج العروس (٧/١٢١-١٢٢) مادة (ضجر).

[3] العواصم من القواصم ص ١٧١-١٧٢ ط دار البشائر.

[4] العواصم من القواصم ص١٧٢ ط دار البشائر.

الوجه الثالث: أن معاوية ﷺ لم يكن يطلب الخلافة لنفسه ﷺ حتى يثبت، وإنما كان يطالب بقتلة عثمان أن يقام عليهم القصاص، وعلي ﷺ يقول بايع أولا، ثم يجلس مجلس الحكم ويقام عليهم بعد ذلك الحكم.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فقد انتهيت بعون الله وتوفيقه من إتمام هذا البحث وإكماله، فإن أصبت فيما بحثته وعرضته، فهو من فضل الله وتوفيقه، فله الحمد في ذلك والثناء الحسن، وإن أخطأت في ذلك، أو في بعضه فهو مني، ومن الشيطان، وأستغفر الله ﷻ وأتوب إليه.

وفي هذه الخاتمة أحب أن أجمل أهم النتائج التي توصلت إليها، من خلال عملي في هذا البحث:

أولا: أن حياة الإمام ابن العربي ــ رحمه الله ــ كانت حافلة بالعلم منذ الصغر، حيث نشأ في بيت علم وصلاح، وقد كان لرحلته إلى بلاد المشرق أعظم الأثر في نبوغه في أنواع العلوم والمعارف، فكان أحد الأئمة الأعلام والجهابذة الأفذاذ.

ثانيا: اعتمد في استدلاله على مسائل الإيمان والنبوة والإمامة بالكتاب والسنة مستنيرا بأقوال السلف الصالح مقدما النقل على العقل في كثير من المسائل التي مرت معنا.

ثالثاً: نلاحظ أنه يستدل بأحاديث الآحاد في مسائل الاعتقاد في الإيمان والنبوة والإمامة خلافاً لمنهجه في الاحتجاج به في مسائل الصفات.

رابعاً: أنه سلك عقيدة أهل السنة والجماعة في مسائل الإيمان كما يلي:
أ- عرّف الإيمان بأنه اعتقاد، وقول، وعمل، وأنكر على من قال أنه التصديق، والإقرار، والقول.
ب- يرى الأعمال داخلة في مسمى الإيمان كما ذهب إليه السلف الصالح.
ج- يرى أن الإيمان يزيد وينقص.
د- قسم الكفر، والشرك، والنفاق إلى قسمين كغيره من علماء أهل السنة والجماعة، منه ما هو مخرج من الملة، ومنه ما لا يخرج من الملة، وذكر بعض صوره.
ه- وأما مرتكب الكبيرة فهو على منهج أهل السنة والجماعة بأنهم معرضون للوعيد لكنهم لا يخلدون في النار، بل مصيرهم إلى الجنة، وردّ على الخوارج في ذلك.

خامساً: سلك في النبوة منهج أهل السنة والجماعة في كثير من مسائل الاعتقاد، وخالفهم في مسألة عصمة الأنبياء من صغائر الذنوب، فهو يرى أنهم معصومون من الصغائر خلافاً لمذهب جمهور العلماء.

سادساً: نهج مذهب أهل السنة والجماعة فيما بحثه وأبانه في أمر الإمامة والخلافة كما يلي:

أ- تكلم عن شروط الإمامة مستدلاً بالكتاب والسنة على ذلك.

ب- يرى وجوب السمع والطاعة للإمام حتى وإن كانت الولاية فيمن لا تجوز ولايته كالعبيد، تغليباً لأهون الضررين.

ج- رجح أنه تجوز إمامة المفضول، وهو قول جمهور العلماء، وأوضح أن حل ولاية المفضول يترتب عليها من المفاسد، من تشتيت الكلمة وتفريق الأمة.

سابعاً: نهج ـ رحمه الله ـ مذهب أهل السنة والجماعة فيما بحثه، وأبانه في الصحابة في تفضيل أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وتحدث عن مناقب الصحابة وعن وجوب الإمساك فيما شجر بينهم، ويعتبر من أقوى من ذبّ، ودافع عن أصحاب النبي ﷺ، في كتابه العواصم من القواصم ـ رحمه الله ـ.

وبعد فهذا ما أمكنني حصره، سردته في هذه النقاط، وهو مبسوط في مكانه.

والله ولي التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

"الفهارس"

أولا:

فهرس الآيات القرآنية

الآيات القرآنية

ثانيا:

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة

ثالثا:

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة

رابعا:

فهرس المراجع

المراجع

١. **القرآن العظيم.**

٢. **الأحكام السلطانية** لأبي الحسن علي الماوردي، ط/ الثالثة، البابي الحلبي – مصر.

٣. **الأحكام السلطانية** لأبي يعلى الحنبلي، لن يذكر الناشر ولا سنة الطبعة.

٤. **أحكام القرآن** لأبي بكر محمد بن العربي، تحقيق محمد عطا، ط/ الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، طبعة أخرى، دار الفكر – بيروت.

٥. **الأحكام في أصول الأحكام** لمحمد بم حزم، تحقيق أحمد شاكر، الناشر زكريا يوسف.

٦. **آراء أبي بكر الكلامية** لعمار الطالبي، الشركة الوطنية – الجزائر.

٧. **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد** للشيخ صالح بن فوزان خزيمة، ط/ الثانية سنة ١٤١٧هـ.

٨. **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد** لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني، تحقيق أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية.

٩. **أسد الغابة في معرفة الصحابة** لعز الدين ابن الأثير، تحقيق محمد البنا وآخرون، دار الشعب.

١٠. **الإصابة في تمييز الصحابة** لأحمد بن حجر، دار إحياء التراث العربي، طبعة أخرة تحقيق طه الزيني، مكتبة الكليات الأزهرية.

١١. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** لمحمد الأمين الشنقيطي، ط/ الأمير أحمد ابن عبد العزيز سنة ١٤٠٣هـ، ومكتبة ابن تيمية – القاهرة.

١٢. **الأفعال** لأبي بكر بن العربي، دراسة وتحقيق عبد المجيد رياش، مطبوع رسالة طبعه خاصة وليست تجارية، المعهد الوطني العالي لأصول الدين – الجزائر.
١٣. **الإمامة العظمى** للدميجي، دار طيبة.
١٤. **الإيمان** لمحمد بن إسحاق بن يحي بن منده، ط/ الثانية سنة ١٤٠٦هـ، موسعة الرسالة.
١٥. **البداية والنهاية** للحافظ ابن كثير، ط/ سنة ١٩٧٧م، مكتبة المعارف – بيروت، ودار الكتب العلمية.
١٦. **بغية الملتمس** لأحمد بن يحي الضبي، ط/ سنة ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي .
١٧. **تاج العروس من جواهر القاموس** لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق الترزي وآخرون، ط/ سنة ١٣٩٥هـ، الناشر التراث العربي – الكويت، طبعة أخرى، تحقيق علي شيري، ط/ سنة ١٤١٤هـ، دار الفكر – لبنان.
١٨. **تاريخ الطبري** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرف – مصر.
١٩. **تاريخ خليفة بن خياط** تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة.
٢٠. **تثبيت دلائل النبوة** لعبد الجبار الهمداني، قدم له عبد الكريم عثمان، ط/ سنة ١٩٦٦م، دار العربية – بيروت.
٢١. **تذكرة الحفاظ** للذهبي، دار إحياء التراث – بيروت، لبنان.
٢٢. **تفسير القرآن العظيم** لإسماعيل بن كثير، دار المعرفة – بيروت، وط/دار التراث.
٢٣. **تقريب التهذيب** للحافظ أحمد بن حجر، محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا.
٢٤. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** لأبي عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق محمد بو خبزة وغيره، ط/ ١٤٠٦هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية – المغرب.

٢٥. **تهذيب التهذيب** لابن حجر العسقلاني، دار صادر – بيروت. ودار الفكر، ط/ الأولى – بيروت.

٢٦. **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد** لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ط/ سنة ١٤٠٢هـ، المكتب الإسلامي – بيروت، لبنان. والمكتب الإسلامي.

٢٧. **جامع الترمذي.** لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ط/ دار السلام.

٢٨. **جامع العلوم والحكم** لأحمد بن رجب الحنبلي، مكتبة الرسالة – عمان.

٢٩. **الجامع لأحكام القرآن** لمحمد القرطبي، ط/ سنة ١٣٥٤هـ، دار الكتب المصرية.

٣٠. **الحكمة من إرسال الرسل** لعبد الرزاق عفيفي، ط/ سنة ١٤١٦هـ، المؤسسة السعودية – القاهرة.

٣١. **خصائص علي بن أبي طالب** لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق أحمد اليكوشي، مكتبة المعلا – الكويت.

٣٢. **دلائل النبوة** لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ط/ عالم الكتب – بيروت.

٣٣. **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين** لمحمد بن علان، دار الريان – مصر.

٣٤. **الديباج المذهب** لابن فرحون المالكي، تحقيق د. محمد أبو النور، دار التراث – القاهرة.

٣٥. **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى** لأحمد محمد الطبري، تحقيق أكرم البلوشي، مكتبة الصحابة – جدة.

٣٦. **الرسل والرسائل** للدكتور. عمر الأشقر، دار النفائس – الأردن.

٣٧. **الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية** لزيد القياض، ط/ الأولى سنة ١٣٧٧هـ، مطابع الرياض.

٣٨. **الزواجر عن اقتراف الكبائر** لأحمد بن محمد الهيثمي، دار المعرفة – بيروت، لبنان.
٣٩. **سنن أبي داود**. لأبي داود سليمان الأشعث السجستاني ط/ دار السلام.
٤٠. **سنن ابن ماجه**. لأبي عبد الله محمد ابن ماجة ط/ دار السلام.
٤١. **سنن الدارمي**. لأبي محمد عبد الله ابن عبد الرحمن الدارمي ط/ دار الريان
٤٢. **سنن النسائي (المجتبى)**. لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ط/ دار الريان.
٤٣. **السياسة الشرعية** لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العربية – بيروت.
٤٤. **سير أعلام النبلاء** للحافظ الذهبي، ط/ سنة ١٤١٧هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.
٤٥. **شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة** لأبي القاسم هبة الله ابن الحسن اللالكائي، تحقيق أحمد الغامدي، دار طيبة.
٤٦. **شرح السنة** للإمام الحسين البغوي، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي.
٤٧. **شرح العقيدة الطحاوية** للقاضي علي بن علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق د. عبد الله التركي، شعيب الأرناؤوط، طبعة أخرى، المكتب الإسلامي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.
٤٨. **شرح العقيدة الواسطية** لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح عبد الرزاق عقيفي، ط/ الأولى، نشر جمعية إحياء التراث – الكويت.
٤٩. **شرح المقاصد** لمسعود للتفتازاني، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب.
٥٠. **شرح ديوان المتنبي** لعبد الرحمن البرقوقي، ط/ سنة ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي – بيروت، لبنان.
٥١. **شرح نخبة الفكر** لعلي القاري، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.

٥٢. **الشريعة** للإمام أبي بكر محمد الحسين الآجري، الناشر أنصار السنة المحمدية – لاهور، باكستان.

٥٣. **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى** للقاضي عياض، تحقيق علي محمد البجادي، دار الكتاب العربي – بيروت.

٥٤. **صحيح ابن حبان (الإحسان)**. لأبي حاتم محمد ابن حبان ط/ دار الرسالة.

٥٥. **صحيح الإمام البخاري**. لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ط/ دار السلام.

٥٦. **صحيح مسلم**. لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ط/ دار السلام.

٥٧. **صفة النفاق ذم المنافقين** لأبي بكر الفريابي، تحقيق محمد عطا، ط/ الأولى سنة ١٤٠٥هـ، دار الباز – مكة المكرمة.

٥٨. **الصفدية** لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، ط/ الأولى سنة ١٤٢١هـ دار الهدى النبوي – مصر.

٥٩. **الصلة** لأبي القاسم ابن بشكوال، ط/ سنة ١٩٦٦م، الدار المصرية لتأليف والترجمة.

٦٠. **ضعيف الجامع الصغير** للألباني،ط/ الثانية سنة ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي.

٦١. **طبقات الشافعية** لعبد الوهاب السبكي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو وغيره، دار إحياء الكتاب العربي.

٦٢. **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية** لابن القيم، دار الكتب العلمية.

٦٣. **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي** لمحمد بن العربي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٦٤. **العبر في خبر من غبر** للحافظ الذهبي، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.

٦٥. **المعجزة وكرامات الأولياء** لشيخ الإسلام ابن تيمية، الناشر عباس الباز.

٦٦. **عصمة الأنبياء** للفخر الرازي، ط/ سنة ١٣٨٨هـ، المكتبة الإسلامية – حمص.

٦٧. **العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية** للحافظ أحمد بن حجر إلى بوطامي البغلي، ط/ الأولى، قطر.

٦٨. **العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة** للدكتور. محمد أبو الغيط ود. محمد رواس، ط/ الأولى سنة ١٤٠٣هـ، دار البحوث العلمية.

٦٩. **عقيدة السلف أصحاب الحديث** لابن عثمان الصابوني، تحقيق بدر البدر، مكتبة الغرباء – المدينة المنورة.

٧٠. **علوم مصطلح الحديث ومصطلحه** للدكتور. صبحي الصالح، ط/ ١٧، دار العلم للملايين – بيروت، لبنان.

٧١. **العواصم من القواصم "النص الكامل"** لأبي بكر ابن العربي، دار الثقافة الدوحة، طبعة أخرى تبع آراء أبي بكر الكلامية، تحقيق ودراسة عمار الطالبي، الشركة الوطنية – الجزائر، وطبعة أخرى خاصة بدفاعه عن الصحابة، تحقيق محب الدين الخطيب، دار البشائر، وطبعة أخرى، تحقيق محب الدين الخطيب ط/ سنة ١٣٩٩هـ، الدار السلفية – مصر.

٧٢. **غياث الأمم في إثبات الظلم** لأبي المعالي للجويني، تحقيق عبد العظيم الديب – قطر.

٧٣. **فتاوى السبكي** لأبي الحمد تقي الدين علي السبكي، دار المعرفة – بيروت.

٧٤. **فتح الباري شرح صحيح البخاري** للحافظ بن حجر، محب الدين الخطيب، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.

٧٥. **فتح المغيث** للسخاوي، أم القرى لطباعة والنشر – القاهرة، مصر.

٧٦. **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان** لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن اليحي، دار طويق، ط/ الأولى، طبعة أخرى، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان – دمشق.

٧٧. **الفصل الملل والأهواء والنحل** للإمام أبي محمد بن حزم، تحقيق محمد إبراهيم نصير وغيره ط/ سنة ١٤٠٢هـ، عكاظ، طبعة أخرى دار المعرفة – بيروت.

٧٨. **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة** للقاضي عبد الجبار الهمداني، ط/ سنة ١٤٠٦هـ، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر.

٧٩. **قانون التأويل** لأبي بكر محمد بن العربي، ط/ الأولى، دار القباسة.

٨٠. **القبس في شرح موطأ الإمام مالك بن أنس** لأبي بكر بن العربي، تحقيق د.محمد ود. كريم، دار الغرب الإسلامي.

٨١. **القيامة الصغرى** للدكتور. عمر الأشقر، دار النفائس – الأردن.

٨٢. **كتاب القواعد** لأبي بكر محمد تقي الدين الحصيني، تحقيق د. جبريل البصيلي، ط/ الأولى سنة ١٤١٨هـ، مكتبة الرشد – الرياض.

٨٣. **الكتاب اللطيف لشرح مذاهب أهل السنة** لأبي حفص عمر بن أحمد شاهين، تحقيق رسالة عبد الله البصري، ط/ الأولى، مكتبة الغرباء الأثرية.

٨٤. **لسان العرب** لابن منظور، ط/ الثانية، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٨٥. **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية** لمحمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي.

٨٦. **مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب** أعدها عبد العزيز بن الرومي وغيره، جامعة الإمام محمد بن سعود.

٨٧. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** لعلي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي - بيروت.

٨٨. **مجموع فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية** لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن القاسم، دار عالم الكتب – الرياض.

٨٩. **مدارج السالكين** لابن القيم، محمد حامد فقي، دار الرشاد – المغرب.

٩٠. **المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية** للدكتور. إبراهيم بن محمد البريكان، ط/ سنة ١٤١٣هـ، دار السنة – الخبر.

٩١. **مرآة الجنان وعبرة اليقظان** لأبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني، تحقيق خليل المنصور، نشر عباس أحمد الباز، ط/ سنة ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية.

٩٢. **المصنف في الأحاديث والآثار** للحافظ أبي بكر ابن أبي شيبة، ط/ الأولى، الدار السلفية.

٩٣. **المستدرك على الصحيحين**. للحاكم ط/ دار الكتب العلمية.

٩٤. **مسند الإمام أحمد**. لأبي عبد الله أحمد بن حنبل ط/ بيت الأفكار الدولية

٩٥. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

٩٦. **معجم مقاييس اللغة** لأحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل – بيروت.

٩٧. **معجم مقاييس اللغة** لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل – بيروت.

٩٨. **المفردات في غريب القرآن** للحسين بن محمد المعروف الأصفهاني، ط/ الأولى، الناشر دار الباز – مكة المكرمة.

٩٩. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/ سنة ١٤١١هـ، المكتبة العصرية – بيروت.

١٠٠. **الملل والنحل** لأحمد الشهرستاني، تحقيق أمين علي مهنا وغيره، ط/ الخامسة سنة ١٤١٦هـ، دار المعرفة – بيروت.

١٠١. **منهاج السنة النبوية** لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة الرياض الحديث.

١٠٢. **موطأ الإمام مالك.** للإمام مالك، ط/ دار التراث.

١٠٣. **النبوات** لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الفكر – بيروت.

١٠٤. **النفاق آثاره ومفاهيمه** لعبد الرحمن الدوسري، ط/ الثانية سنة ١٤٠٢هـ، نشر مكتبة دار الأرقم – الكويت.

١٠٥. **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب** تأليف أحمد بن المقري التلمساني، تحقيق إحسان عياس، ط/ سنة ١٩٩٧م، دار صادر – بيروت.

١٠٦. **النكت على نزهت النظر** لابن حجر، تحقيق علي عبد الحميد، دار ابن الجوزي – الدمام.

١٠٧. **وفيات الأعيان** لأبي العباس أحمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر.

١٠٨. **يانع الثمن في مصطلح أهل الأثر** لحماد الأنصاري، مكتبة ابن القين – المدينة المنورة.

خامسا:

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الفهارس